صناعة الفكر

د. جمال يوسف الهميلي
خبير التنمية البشرية

صناعة الفكر

د. جمال يوسف الهميلي

المدينة المنورة

١٤٣٧ هـ - ٢٠١٦ م

كل الحقوق محفوظة

ⓒ جمال يوسف الهميلي ، 1435هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الهميلي ، جمال يوسف
صناعة الفكر. / جمال يوسف الهميلي .- المدينة المنورة ، 1435هـ

..ص ؛ ..سم

ردمك: 978-603-01-5750-1

1- التفكير 2- الابداع أ.العنوان

ديوي 153 1435/6814

رقم الإيداع: 1435/6814
ردمك: 978-603-01-5750-1

بسم الله الرحمن الرحيم
١٤٣٠

تمهيد

الحمد لله الذي علّم بالقلم علّم الإنسان ما لم يعلم ، والصلاة والسلام على المعلم الأول والمرشد الأعظم، وعلى آله وصحبه والسائرين على الصراط الأقوم ، وبعد

أخي الكريم

خذ نفساً عميقاً ...

استرخ .. وكن هادئاً ثم

حاول أن تجيب على السؤال التالي :

ما العمل الذي لا تحتاج معه إلى تفكير ؟

تأن ولا تستعجل ....

أظنك ستذكر الأعمال الروتينية مثل طريق العمل وتشغيل السيارة (بالنسبة للمرأة طريقة الطبخ ..) والحق أن هذه كلها تحتاج إلى تفكير ولكنه مبرمج ذاتياً بدليل أن أي تغير أو طارئ يحدث تكون منتبها له وتتعامل معه بما يقتضي ذلك التغير .

ومن غرائب الأمور في حياتنا أننا نمارس التفكير بشكل كبير يومياً وبصورة متكررة ولا نستطيع العمل دون تفكير ، ومع هذا كله فإن

القليل منا يعرف التفكير وكيفيته وما طريقته هو في التفكير وكيف يطورها ويوظفها لتحقيق أهدافه .

نحن نفكر في كل شيء في الشراء والبيع والذهاب والإياب .. كل شيء ، إلا التفكير وهو الأداة التي لم نعطها حقها من التفكير، إن طريقة تفكيرنا غالباً تحدد طريقة حياتنا وتعاملنا مع الأحداث اليومية ، وبمعنى آخر فإن *تفكيرك = حياتك*، وليس هذا خاصا بالإنسان وحده ، بل يتعداه إلى الآخرين ومدى التأثير عليهم أو التأثر بهم ، فاصبحنا نسمع عن " غسيل الدماغ " ومصطلح " الإقناع الجماهيري " ، وكلنا نلامس ونعايش ذلك في حياتنا اليومية وبصورة لا تقبل النقاش ، من خلال وسائل الإعلام ووسائل الاتصال وغيرها ومن هنا كانت أهمية موضوع صناعة الفكر على المستوى الشخصي والجماعي والعالمي.

وظهرت مجموعة من الأسئلة التي تحتاج إلى إجابة وبسط كلام :

- ✓ ما الفكر والتفكير ؟
- ✓ كيف أبرز القرآن الكريم أهمية الفكر ؟
- ✓ ما خصائص الفكر .
- ✓ ما عوامل تكوين الفكر.
- ✓ كيف نستطيع تحصين الفكر.

- ✓ هل هناك مزالق للفكر ، وما هي .
- ✓ هل من ممكن السيطرة على فكر الآخرين وتوجيههم .
- ✓ كيف يمكن توجيه فكر الآخرين، وتحديد اتجاهاتهم ؟
- ✓ ما وسائل حماية أنفسنا وشبابنا ومجتمعنا من التلوث الفكري ؟

وغير ذلك، وبمعنى آخر هل يمكن صناعة الفكر ، وإذا كانت الإجابة بنعم فكيف تتم تلك العملية فاستعنت بالله وبدأت في نشر مجموعة من المقالات حول الموضوع ، ثم طلب مني بعض الأخوة جمعها في كتاب واحد لتسهيل نشرها ومتابعة موضوعها ، فتلبية لطلبهم جمعت تلك المقالات ونسقتها وأضفت إلى بعضها ما يحتاج إلى توضيح، بناءاً على التغذية العكسية من المقالات ، ثم أعدت الترتيب والتنسيق وجعلته على شكل فصول واسميته

" صناعة الفكر "

وها هو الكتاب بين ايديكم .واسأل الله أن يكون هذ ا العمل خالصاً لوجهه الكريم وان ينفع به كاتبه وقارئه وكل من يطلع عليه .

اخوكم

د. جمال يوسف الهميلي

المدينة المنورة

الفصل الأول
الفكر
وخصائصه

الفكر والعقل والدماغ ، كلمات متقاربة في المعنى ومتداولة كثيراً وخاصة في هذا الزمان ، و عند الرجوع إلى معاجم اللغة نلحظ :

❖ الفِكْرُ : **إعْمال الخاطر في الشَّيء**[1]

و قيل : "**أعمل الْعقل فِيهِ ورتب بعض مَا يعلم ليصل بِهِ إِلَى مَجْهُول.**"[2]

❖ العقل : **المنع والحبس والإمساك** .

وقيل : الحِجْرُ والنُّهْيَة.[3]

وقريباً منه اللب وهو العقل الخالص من الشوائب [4]

وورد تسمية العقل حِجر في قوله تعالى:" هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ (٥)"الفجر: ٥

❖ الدماغ : **حَشْو الرَّأْس من أعصاب وَنَحْوهَا وَفِيه المخ والمخيخ والنخاع المستطيل وَالرَّأْس.**[5]

---

[1] لسان العرب لابن منظور مادة " فكر "

[2] المعجم الوسيط ٢ / ٦٩٨

[3] تاج العروس ٣٠ / ١٨

[4] الراغب الأصفهاني

[5] المعجم الوسيط ٢ / ٢٩٧

أما في الاصطلاح فالوضع لا يختلف كثيرا عنه في اللغة، وليس موضوعنا الخوض في التعاريف والمقارنة بينها ، ولكن أردنا بيان أن المعاني متقاربة وتدور حول التوصل إلى المجهول عن طريق المعلوم باستخدام الهبة الربانية الموجودة في الرأس .

فالفكر هو الأداة التي وهبها الله للإنسان لتحقيق رسالته في الأرض أما التفكير فهو العملية التي تستعمل هذا الفكر للوصول إلى النتائج من خلال المقدمات والمدخلات التي ندخلها له ، والله أعلم.

والقرآن الكريم مليء بالحديث عن الفكر والتفكير وبمصطلحات متقاربة فعدد الآيات التي تتحدث عن التفكير والتأمل والتبصر والاعتبار (كلها عمليات فكرية) يتجاوز ٦٠٠ آية أي بنسبة تصل إلى ١٠ ٪ من مجموع آيات القرآن الكريم ، ولك أن تتصور أنه كلما قرأت ١٠ آيات من القرآن الكريم تمر عليك آية فيها دعوة لإعمال الفكر ، ألا يبين ذلك أهمية هذه القضية ؟ بل إن الله بيّن أن الحكمة من إنزال القرآن هي تدبر آياته " كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ (٢٩)" ص: ٢٩ ، وهل التدبر إلا صورة من صور إعمال الفكر ، و ثبت عنه ﷺ أنه قال :.. لقد أنزلت على الليلة آية ؛ ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها :" ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ ﴾ آل عمران: ١٩٠ إلى آخر السورة

أما خصائص الفكر فيمكن إجمالها في خمس خصائص:

١ ـ الفكر هبة ربانية :

فهو منحة من الله ، بل إنها من أجل النعم فقد ميّز الله بها الإنسان عن الحيوان ، كما أنه جعل التفكير مناط التكليف فمن فقد عقله (أداة التفكير) فلا تكليف عليه كما قال ﷺ :" رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ ، وعن الصبي حتى يحتلم ، وعن المجنون حتى يعقل "[٦] .

٢ ـ كل إنسان يفكر:

قد نظن أن بعض الناس لا يفكر لموقف يمر به، والحقيقة أن الموقف لم يدفعه نحو التفكير ولم يكن كافياً من أجل دفعه نحو التفكير، والدليل على ذلك أن الشخص نفسه تجده في مواقف أخرى من أحسن الناس تصرفاً. فالفاشل دراسياً لابد أن يكون ناجحاً أو لديه القدرة على النجاح في أشياء أخرى، والذي لم ينجح في موقف ولم يحسن التصرف تجده من أفضل الناس في مواقف أخرى، فكم من المخترعين والمفكرين والمبدعين كانوا غير ناجحين في غير ميدانهم.

---

٦ صحيح ابن ماجه للألباني ١٦٧٣

وثمة أمر آخر وهو العدل الرباني ، فالله سبحانه وتعالى من صفاته العدل، ومن مقتضيات العدل توزيع المواهب والقدرات بين أبناء البشر وعدم حرمان البعض من كل المواهب والقدرات إلا فيما تقتضيه الحكمة الربانية للمجانين أو المتخلفين عقلياً .

٣ـ التفرد:

إذا كنت في مجلس ما، حاول أن تخمن فيم يفكر كل واحد من الموجودين !! قد تستطيع معرفة كثير من الأشياء عن المقابل لك، لكنك من الصعب جداً أن تتعرف فيم يفكر، فقد يجلس أمام الأستاذ أو المحاضر أكثر ٥٠ شخص ولا يستطيع أي منهم أن يتعرف على ما في تفكير القريب منه فضلاً عن البعيد بل حتى الأستاذ أو المحاضر لا يستطيع أن يجزم ماذا يدور في رأسك .

إنه سر رباني فالحكمة الربانية اقتضت أن يستطيع كل منا أن يحتفظ بتفكيره الخاص ويستطيع أن يظهر لك خلاف ما يدور في رأسه ، ومن أوضح الأمثلة على ذلك في الصلاة فالكثير يشتكي من السرحان في الصلاة فهو يسمع شيء ويفكر في شيء آخر بعيداً كلياً عن الموضوع الذي يسمعه ومن هنا كانت أول صفات المؤمنين الفالحين ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ۝٢﴾ المؤمنون: ٢

٢ ، فالله وحده فقط هو الذي انفرد بعلم ما يفكر به الإنسان فهناك أربعة مستويات:

١. العلن وهو ما تظهره للجميع.

٢. السر وهو ما تسره لبعض الناس وتتحدث فيه بصورة خفية حتى لا يطلع عليها الآخرون.

٣. السر الخاص و هو ما تحدث به نفسك.

٤. الأخفى ، كما في قوله تعالى ﴿وَإِن تَجۡهَرۡ بِٱلۡقَوۡلِ فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى ۝٧﴾ طه: ٧والأخفى : هو ما أخفي على ابن آدم مما هو فاعله قبل أن يعلمه، وقيل هو ما لم تُحدث به نفسك بعد.[٧]

٤. الفكر قابل للتغيير :

من أبجديات الحساب والجزاء الاختيار ، فلا حساب على إجبار ولا عقوبة على إكراه ، وإن كان الفكر هبة ربانية فإن الله أوجب على العباد أمور وطلب منهم تحقيقها وفق منهج محدد مهما كانت طريقة تفكير العبد ، وهذا يعني بلا شك أن الإنسان يمكن أن يغير فكره إلى ما يريد الله والعكس صحيح .

قد يكون تغيير التفكير صعب ولكنه ليس مستحيلاً والتاريخ البشري القديم والحديث خير شاهد على القدرة على تغيير التفكير والتوجيه نحو هدف معين ولعل سيرة الرسول الكريم ﷺ من أوضح الأمثلة على ذلك .

[٧] تفسير ابن كثير ٥ / ٢٧٥

٥ ـالفكر يتطور : جمود الفكر من أكبر أسباب ضعف التطوير في مختلف جوانب الحياة ، كما أن تطوير الفكر من أبرز سمات أهل التقدم بمختلف صوره ، لذا نجد أن الغرب والشرق وأهل الصناعات بالذات(وحتى العلوم الإنسانية) يجتهدون كثيراً في دراساتهم نحو تطوير التفكير وسبُل النهوض به ويبتكرون برامج ونظريات من أجل ذلك ، فمهارات التفكير وبرامجه المختلفة والكثيرة كلها تهدف إلى ذلك، ولا ريب أن ما نعيشه من تقدمي مادي ورقي إنساني هو من نتائج تطوير التفكير ، فطريقة التعامل مع الحياة ومع المشكلات ومع المستقبل وطرق الابتكار فهذه القضايا وغيرها قد تغيرت وتطورت وأصبح النظر إليها مختلف عما كان عليه سابق البشرية .

وأهل الاسلام وشبابهم بالذات عليهم السعي في تطوير فكرهم وتفكيرهم وتوظيف نِعم الله بما يساهم في تحقيق عبودية المخلوقين للخالق سبحانه .

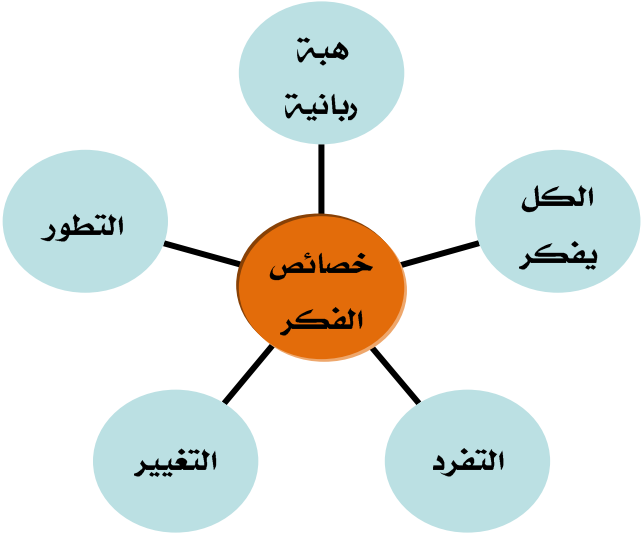

خارطة الفصل الأول

الفصل الثاني
عوامل تكوين الفكر

بعد الحديث السابق عن خصائص التفكير ، نتحدث عن قضية جوهرية وهي ما عوامل تكوين الفكر لدى الإنسان ؟

لمعرفة الإجابة على هذا السؤال الكبير دعونا نرجع إلى بداية خلق الإنسان ، قال تعالى ﴿ وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٧٨ ﴾ النحل: ٧٨

، فالآية تشير إلى خروج العبد إلى الدنيا ومعه ثلاثة نِعم كبيرة (ليست الوحيدة) وهي:

١. السمع
٢. والبصر
٣. والفؤاد ،

وهذه الأدوات الثلاث هي الأدوات الأساسية في بناء وتكوين فكر العبد ، فالسمع والبصر هما أهم مصادر المعلومات التي ستخزن في الفؤاد ،والفؤاد هنا العقل أو الدماغ وليس القلب المادي المعروف [٨] ، فالسمع والبصر هما بوابة دخول المعلومات إلى العقل أو المخ هو الذي

[٨] راجع تفسير ابن كثير

يقوم بتخزينها ومن ثم معالجتها و توظيفها فيما يريد العبد لتخرج على شكل مخرجات معينة ومحددة ، واقرب مثال للمخ هو جهاز حاسب آلي جديد لديه قدرة هائلة على تخزين المعلومات ومعالجتها، ولكنه غير مبرمج، و يمكننا تمثيل العملية بالشكل التالي :

ولعل السبب – والله أعلم – في ذكر السمع والبصر دون غيرهما من الحواس أنهما أهم مصدرين للمعلومات، فقد أثبتت الدراسات أننا نتعلم عن طريق الحواس الخمس بحسب التالي :

١٪ بواسطة حاسة الذوق .

١.٥٪ بواسطة حاسة اللمس .

٣.٥٪ بواسطة حاسة الشم .

١١٪ بواسطة حاسة السمع .

٨٣٪ بواسطة حاسة البصر .

أي ٩٤ ٪ عن طريق السمع والبصر .

وعملية التفكير داخل العقل تعتمد على عدة عوامل، منها كم وكيف المعلومات الواردة إليه ، لذا أودع الباري – سبحانه – المخ قدرة هائلة على تخزين المعلومات، فقد اكتشف البروفسور مارك روزنزن أنه لو تم تغذية المخ بعشر معلومات في كل ثانية ولمدة ستين سنة بدون توقف فإن مقدار ما تم تخزينه يعادل أقل من نصف المساحة المخصصة للتخزين .

ولو عدنا إلى الآية الأولى، فإنها تشير إلى أن الإنسان يولد من بطن أمه لا يملك أي معلومات "لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا" ولكن لديه الأدوات الأساسية لاكتساب المعلومات والقدرة على معالجتها (السمع والبصر والفؤاد) ، فمن حكمة الخالق سبحانه أنه وهبنا أدوات ولم يهبنا معلومات، و الحصول على المعلومات متيسر وسهل إذا أحسنا استخدام الأدوات .

ويمكن القول أن الإنسان الوحيد الذي وهبه الله معلومات مع باعتباره أول البشر ومنه ستنتقل المعلومات إلى عليه السلام الأدوات هو آدم أنه علّمه عليه السلام بقية البشر ، ومن هنا كان من نِعم الله على آدم الأسماء ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا..﴾ البقرة: ٣١

وبتعبير آخر فإن المولود يخرج من بطن أمه إلى الدنيا وصفحة مخه

بيضاء خالية من المعلومات ، ثم تبدأ المعلومات تتوافر إليه عن طريق السمع والبصر ثم يبدأ يكبر فيبدأ بمعالجة تلك المعلومات ، ولعل هذا أحد الأسرار في قوله ﷺ :" **ما من مولود إلا يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه ، أو ينصرانه، أو يمجسانه**.." فمصدر التلقي للطفل هو أبويه ، فهو ينظر إليهما على أنهما قدوات يعرفان كل شيء، وأن هذه المعلومات صحيحة غير قابلة للخطأ، فيتقبلها بصدر رحب فتُسهم في تشكيل عقيدته وحياته، على الأقل إلى حين يكبر ويبدأ بالإدراك ويجري عليه القلم.

وبعد هذه المقدمة نرجع إلى الإجابة على السؤال عن أهم عوامل تكوين الفكر لدى الإنسان ؟ يصعب حصر جميع العوامل بسب طبيعة خلق الإنسان وتكوينه البديع وارتباطه بما حوله من مخلوقات ، ويمكن القول بأن أهم هذه العوامل **خمس** هي :

١ / الموروثات السابقة :

وهي مجموعة من العادات والقيم والسلوكيات و المعتقدات التي يتلقاها العبد من السابقين له (الآباء والأمهات) ، وهي من أهم المصادر لأنها من أول المعلومات التي تصل إلى المخ ، ونتيجة لقوة الطرح وتكراره تترسخ تلك الموروثات حتى تكاد تصل إلى العقل اللاواعي ، فتجد العبد يعمل ويقول ويردد تلك الموروثات دون تفكير عميق، بل أحيانا تصادم العقل الصحيح، واقرأ معي هذه الآية :" ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ٢٣ ﴾ الزخرف: ٢٣ ، فالحجة واحدة على مدار التاريخ البشري، لذا كان الجواب ﴿ ۞ قَٰلَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكُم بِأَهۡدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمۡ عَلَيۡهِ ءَابَآءَكُمۡۖ... ﴾ الزخرف: ٢٤ ، فهي دعوة للتفكير في هذه الموروثات والنظريات والمعتقدات فربما جئتكم بما هو أهدى، أو أنكم قبلتموها دون تفكير، ولكن النتيجة المعروفة أنه لا يؤمن إلا القليل بمعنى أنه لا يترك تلك الموروثات السابقة حتى لو كانت غير موافقة العقل أو غير مبنية على أسس راسخة ، وتذكر معي ذلك الموقف عن عم الرسول ﷺ أبي طالب: " أنه لما حضرته الوفاة، دخل عليه النبي ﷺ وعِندَه أبو جهل، فقال : (أي عم، قُلْ لا إله إلا الله، كلمة أحاج لك بها عِندَ الله) . فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية : يا أبا طالب، ترغب عن ملة عبد المطلب، فلم يزالا يكلمانه، حتى قال

آخر شيء كلمهم به : على ملة عبد المطلب.."[٩]

٢ / الدين :

الإنسان متديّن بطبعه، ومعنى متدين أنه يبحث كثيرا في مسألة الخالق ولماذا خلق ؟ فقلَّ أن تجد مجتمعاً إنسانياً إلا ولديه عقيدة معينة ودِيناً يدين به، فهناك من يعبد الشمس والقمر والحجر والشجر والفأر والبقر والملائكة والبشر وغيرها كُثُر، وكل من يدعي أنه لا يعبد أحد فهو في الحقيقة يعبد هواه وشهواته كما قال تعالى : ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾﴾ الفرقان: ٤٣

، ومن مستلزمات الأديان أنها تفرض على أتباعها نظم معينة وعقائد محددة تجاه الحياة والناس والكون ، وهذا بلا شك يسهم في تشكيل فكر العبد وصياغته بقالب معين ولو في بعض القضايا والمحاور .

فالنظرةُ للمرأة – على سبيل المثال – وللزوج وللحياة الاجتماعية ترتبط كثيرا بما يمليه الدين ، وهذا بدوره يصنع فكراً تجاه هذه القضايا يظهر على شكل سلوكيات وأخلاقيات يتصرفها العبد في حياته اليومية والاجتماعية .

٣ / التجارب :

[٩] صحيح البخاري ٣٨٨٤

لكي يعيش العبد في هذه الحياة فلابد أن يمر بتجارب ومواقف في حياته ، بعضها تكون ايجابية وبعضها تكون سلبية ، وفي كلا الحالتين فإن العبد يكتسب من تلك التجارب من جهتين

١. الأولى : **تخزين** الموقف والاحتفاظ به في ذاكرته لاستعادته عند الحاجة،

٢. الثانية **معالجة** هذا الموقف في العقل والنتائج المترتبة عليه .

والعاقل هو الذي يستفيد من تجارب الآخرين في التخزين وليس بالضرورة أن يوافقهم في طريقة معالجتها .

ولك أن تتخيل كم من المواقف مرت عليك في حياتك ، وكم من التجارب حدثت لك ، وكم من النتائج التي حصلت عليها نتيجة تلك المواقف والتجارب، قد لا تستطيع إحصاءها ، ولكنها بلا شك ساهمت في تشكيل فكرك وطريقة حياتك .

٤ / التعليم :

وما أدراك ما التعليم ! فالإنسان يقضي ما لا يقل عن ١٢ سنة من عمره في التعليم أي أكثر من ١٥٠٠٠ ساعة بين المدرسة والمذاكرة ، وإذا أضفنا سنوات الجامعة فسيصبح الرقم أكثر من ٢٥٠٠٠ ساعة ، ليس هذا فحسب بل أنها من أفضل السنوات في تكوين وصناعة شخصية العبد حيث عمره ٦ – ٢٣ سنة بالإضافة إلى حرص الطالب على النجاح والتفوق مما يتطلب الجد والاجتهاد ومحاولة فهم واستيعاب المواد المقدمة له ، ولا أظن أن أحمد شوقي أخطأ حينما قال :

قم للمعلم وفّه التبجيلا كاد المعلم أن يكون رسولا

فهذه العوامل الثلاثة[١٠] (طول الفترة و ربيع العمر والحرص) تجعل التعليم ذا أثر كبير في البناء الفكري للإنسان .

٥ / الإعلام :

كان يُقال " الناس على دين ملوكهم " و أظننا في زمن " الناس على دين إعلامهم "، فإذا كان العبد يقضي في التعليم الزمن الطويل من ساعات عمره ، فالإعلام لا يقل عن ذلك بل ربما يزيد

[١٠] ليست هي العوامل الوحيدة في بيان أهمية التعليم

عليه، وخاصة مع الإعلام الجديد، فعلى سبيل المثال ذكرت إحصائية نُشرت عام ٢٠١٠ م أن الناس يقضون أكثر من ٥٠٠ مليار دقيقة في الشهر (تقريباً ١٧ مليار دقيقة في اليوم) على الفيس بوك، كما وصل عد مستخدميه في عام ٢٠١٢ م إلى مليار ، هذا لموقع واحد فقط ، **أما اليوتيوب (YouTube**) فيزوره أكثر من ٨٠٠ مليون زائر فريد يشاهدون فيها أكثر من ٩٠ مليار مشاهدة ، وكل دقيقة في يوتيوب يتم تحميل ما يقارب ٤٨ ساعة فيديو أن ما يعادل ٨ سنوات من العرض المستمر يتم تحميله يوميا. ، وإليك صورة توضح عدد مستخدمي الفيس بوك في العالم العربي لعام ٢٠١٢ م [١١]

[١١] /http://www.tech-wd.com

وخطورة الإعلام في البناء الفكري تكمن من عدة أمرين مهمين جداً هما :

أ- الرغبة والدافعية ، فالمتلقي من الإعلام يكون مختاراً لا مجبرا، راغبا لا رافضاً، محباً لا مكرهاً .

ب- مخاطبة الإعلام لأكثر من حاسة للإنسان فهي تجمع بين الصوت والصورة والحركة والسكون بطريقة جذابة وساحرة تجعل العبد يتلقى المادة وتدخل في فكره وربما تتغلغل حتى تصل إلى عقله اللاواعي فتشكل فكره وفق أساليب لا تخطر له على بال ، وفي واقعنا شاهدنا كم من العادات (الموروثات السابقة) صمدت أمام المتغيرات لمئات السنين، لكنها لم تصمد أمام الإعلام إلا سنوات أو أشهر .

ت- تلك هي ***العوامل الخمسة الأساسية*** لتكوين فكر العبد ،

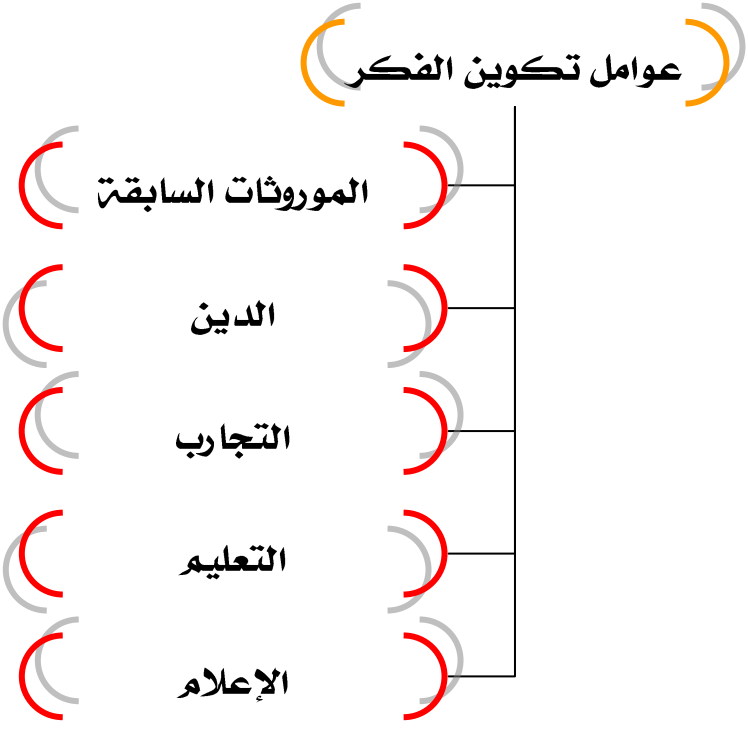

خارطة الفصل الثاني

الفصل الثالث

قواعد بناء الفكر

كيف ابني فكري ؟

سؤال يحتاج إلى تأني وتدبر، ومراجعة ونظر، ويمكن إجمال قواعد بناء الفكر بما يلي :

١ / كن مستقلاً (لا تعر عقلك لغيرك) :

فعقلك هبة من الله لك، بل هو من أعظم الهبات، فكيف تُسلم هذا الكنز إلى غيرك ليسيره كما يشاء ويذهب حيث يريد ؟ ومسألة إعارة العقل هي الموافقة المطلقة للمقابل وعدم النظر والتأمل فيما يقول أو يفعل وكأنك عطلّت عقلك وتفكيرك وسلّمته إياه على طبق من ذهب .

وهذه القضية (إعارة العقل) هي البوابة التي يدخل منها معظم (أو كل) أهل البدع إلى أتباعهم، فتراهم يطلبون منهم التسليم المطلق للشيخ أو الإمام دون نظر أو تفكير، بل ويعتبرون أن من يناقش شيخه أو يشك في تصرفاته أنه مارق وربما يخرج من ملتهم ، ومن تأمل الفرق كالرافضة وغلاة الصوفية وغيرهم سيدرك حقيقة هذا الأمر، ولذا حين تتكشف الحقائق يوم القيامة يكون الحوار الذي سجله القرآن الكريم : " وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ " ، بل إن الشيطان نفسه يصرح بذلك، ويوكل إضلاله للعباد إلى انفسهم وإلى استئجار عقولهم له، فاللوم الحقيقي

يقع على العباد أنفسهم :" ﴿ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٢٢ ﴾ إبراهيم: ٢٢ ، وكأنه يقول أين كانت عقولكم عندما دعوتكم ، فأنا لم أجبركم ، وكل ما فعلته هو الدعوة فقط.

وقد يقول قائل نحن في شرعنا الإسلامي لابد من التسليم، فنقول : إن هذا التسليم ليس لمخلوق إنما للخالق الذي خلق الإنسان، وهو أعلم بما ينفعه ويضره ، وهو أرحم به من نفسه ، وهو أحكم الحاكمين ، وأما طاعة الرسول ﷺ فهي مأخوذة من طاعة الله فهو رسول الله، كما أنه :" ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ٤ ﴾ النجم: ٣ – ٤ ، و الوحي من الله، وأما طاعة غير الله وغير رسوله فهي بعد طاعة الله، وطاعة رسوله ﷺ ومرتبطة بالمعروف فقد" **بعث النبي ﷺ سرية فاستعمل عليها رجلا من الأنصار، وأمرهم أن يطيعوه، فغضب، فقال: أليس أمركم النبي ﷺ أن تطيعوني ؟ قالوا : بلى ، قال : فاجمعوا لي حطبا ، فجمعوا ، فقال : أوقدوا نارا ، فأوقدوها، فقال : ادخلوها، فهموا وجعل بعضهم يمسك بعضا، ويقولون : فررنا إلى النبي ﷺ من النار، فما زالوا حتى خمدت النار ، فسكن غضبه، فبلغ النبي ﷺ ، فقال : (لو دخلوها ما خرجوا منها إلى يوم القيامة ، الطاعة في المعروف)**[١٢] ، ووجه آخر وهو اليقين التام بأنه لا يمكن أن يتعارض

[١٢] رواه البخاري ٤٣٤٠

العقل الصريح مع النقل الصحيح[١٣] فكلاهما من عند الله العليم الخبير ، ووجه ثالث وهو أن الشرع يدعو إلى التفكر والتأمل ويحث عليه فهو مطلب، بل قال الله تعالى:" ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩ ﴾ محمد: ١٩ ، فأمر بالعمل بعد العلم.[١٤]

٢ / قيّم افكارك :

إن أفكارنا لم تنبت في عقولنا من فراغ أو من لا شيء ، إنما جاءت من مصادر متعددة ومتنوعة ، فلابد من مراجعة تلك الأفكار والنظر في مصدرها ومدى مصداقية ذلك المصدر ومدى الثقة فيما يطرح ويقول ، إن سماعنا ورؤيتنا تصحبه رسائل وأفكار إلى عقولنا وليس مجرد كلام وصور ، وقد يُراد أن تتجذّر لديك أفكار محددة عن طريق تلك الكلمات والصور ، فبعض الأحيان يكون الخبر صحيحاً ولكن ما يتبعه من تحليل وتضخيم أو تصوير هو الهدف فيتغلغل إلى ذهنك مع الخبر الصحيح فيحصل المقصود، ولذا فعند المراجعة والتدقيق تتبين لك أمور لم تتوقعها من قبل واقرأ معي هذه الآيات:" ﴿ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۖ كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ ٨ قَالُواْ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَنَا نَذِيرٞ فَكَذَّبۡنَا وَقُلۡنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ كَبِيرٖ ٩ وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ١٠ ﴾ الملك: ٨ – ١٠

[١٣] راجع كتاب " درء تعارض العقل مع النقل " لشيخ الاسلام ابن تيمية

[١٤] وثمة وجوه أخرى لم اذكرها اختصاراً للكلام .

إنهم يسمعون ويعقلون ولكنهم نفوا عن أنفسهم السمع النافع والعقل الراجح المفكر الذي يوقف صاحبه على حقائق الأشياء ويرشده إلى الخير ويبعده عن الشر بعكس أهل الايمان ، وفي ذلك اليوم (يوم القيامة) تتكشف لهم الحقائق ويدركوها ، ولكن في وقت متأخر .

وحتى لا تكون ضحية لأفكار غيرك عليك أن تسأل نفسك ثلاثة أسئلة :

١. ما مصدر تلك الأفكار ؟
٢. ما مدى ثقة ومصداقية هذا المصدر ؟
٣. ما الأدلة على صحة تلك الأفكار .

٣/ لا تكن ريشة :

واللّهِ لئن قالَه لقد صدَق، فما يُعجِبُكم من ذلك ؟ واللّهِ إنه ليُخبِرُني الخبرَ لَيأتيه من اللّهِ من السماءِ إلى الأرضِ في ساعةٍ من ليلٍ أو نهارٍ فأصدِّقُه.." تلك العبارة قالها أبو بكر الصديق ﷺ حين قال له كفار مكة : "**يا أبا بكرٍ هل لك في صاحبِك- يعني محمد ﷺ - يزعُمُ أنه جاء هذه الليلةَ بيتَ المقدسِ وصلّى فيه ورجَع إلى مكةَ!!**" ، إنها والله الثقة في صدق الحدث حتى لو كان مستحيلاً في نظر البعض ، إن صاحب اليقين الراسخ بما لديه من أفكار لا تهزه العبارات والتصرفات بل تزيده ثباتاً بالقناعات\ ، ولذا – والله أعلم – كان من صفات المؤمنين عدم الريب كما قال تعالى : " ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ

ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ ...﴾ الحجرات: ١٥ ، ومن صفات المنافقين الريبة (الشك):" ﴿إِنَّمَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱرۡتَابَتۡ قُلُوبُهُمۡ فَهُمۡ فِي رَيۡبِهِمۡ يَتَرَدَّدُونَ ٤٥﴾ التوبة: ٤٥ ، وانظر إلى المواقف المتباينة في غزوة الأحزاب[١٥] كيف صورها القرآن الكريم :

- ✓ "﴿وَإِذۡ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورٗا ١٢﴾ الأحزاب: ١٢
- ✓ ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡأَحۡزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥۚ وَمَا زَادَهُمۡ إِلَّآ إِيمَٰنٗا وَتَسۡلِيمٗا ٢٢﴾ الأحزاب: ٢٢

الموقف واحد، والمكان واحد والزمن واحد، ولكن اختلاف الثقة والإيمان هو الذي سبب اختلاف النظرة والتحليل بين الفريقين.

فالعزم والإقدام وعدم التردد في الرأي دليل الثقة ، ولذا عُد من صفات الرجال :

إذا كنت ذا رأي فكن ذا عزيمة فإن فساد الرأي أن تترددا[١٦]

إن قوة أدلتك وتنوعها ومصداقية مصدرها يجعلك تطمئن وتثق فيما لديك ، فتصبح : ﴿... كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ أَصۡلُهَا ثَابِتٞ وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ٢٤﴾ إبراهيم: ٢٤ ،فالعلو والارتفاع لا يؤثر في ثباتها، فهي

[١٥] حدثت في شهر شوال من السنة الخامسة للهجرة

[١٦] الخليفة أبو جعفر المنصور ت ١٥٨هـ

راسخة حتى لو وصل ارتفاعها إلى السماء، وإياك أن تكون كالريشة التي تحركها الريح حيثما شاءت فلا إرادة لها ولا سلطة حتى على نفسها.

تذكر أن هناك من يسعى لزعزعة الثقة في نفسك ويطمح لخلخلت أفكارك وإيجاد ثغور فكرية يمكنه أن يتسلل من خلالها إلى عقلك وقلبك فهل ستسمح له ؟

٤ / ارفع الأسوار :

مثلث صحة الأبدان هو : التغذية والحمية والاستفراغ، وقد أشار ابن القيم إلى أن صحة القلوب مشابهة لصحة الأبدان فلابد من تغذية القلب وحمايته وتنقيته، وأظن – والله أعلم – أن صحة الفكر لها المثلث نفسه : التغذية والحماية والتنقية .

وتزداد أهمية الحمية الصحية في بعض الحالات الخاصة (كالمريض) أو الحالات العامة (كانتشار بعض الأمراض الأوبئة ، و كلما كانت الحالة أشد كلما كانت الحمية أهم، حتى ظهر نوع جديد من الطب يُسمى " الطب الوقائي "، وهو مجموعة من الإجراءات الفردية والجماعية الهدف منها الوقاية من المرض قبل الإصابة به .

والحماية الفكرية ليست أقل أهمية من الحماية الصحية، بل إني أظن أنها أهم لأن فقدان الحماية الصحية ربما يؤدي إلى الموت الجسدي على أسوء حال مع محافظته على دينه، لكن فقدان الحماية الفكرية

يعني الإصابة بالأمراض الفكرية والتي ربما تؤدي إلى الخروج من الدين وخسارة الدنيا والآخرة فضلاً عن سعيه في نشر سموم (فيروسات) أمراضه الفكرية في أوسع مجال.

والأمة مطالبة بأن يكون لها حمية وقائية فكرية كما في الطب الوقائي، وإلى أن يتم ذلك على العاقل أن يجتهد في حماية فكره ووقايته بأسوار وليس بسور، وعليه في هذا الزمن بالذات رفع الأسوار لعدة أسباب :

١. نمو المعلومات على مستوى العالم فـ : "المعلومات في العالم تنمو بنسبة تفوق الضعفين كل عامين"[١٧] ." والمعلومات الرقمية تتضاعف كل ١١ شهر "[١٨] ، و" حجم البيانات في العالم مرجح إلى أن يتضاعف ٤٤ مرة خلال السنوات القليلة المقبلة فقط"[١٩].

٢. الإغراق في البث الفضائي ، فعدد القنوات الفضائية ما يقرب من ٦٠ ألف قناة فضائية "[٢٠] ، أما عدد الإذاعات ففي العالم، ٢٥ ألف محطة حسب إحصائية ٢٠٠٨م[٢١] .

---

[١٧] نتائج دراسة أجرتها مؤسسة آي دي سي عن التكنولوجيا الرقمية http://www.masress.com

[١٨] http://www.zdnet.com

[١٩] صحيفة الرأي http://www.alraimedia.com

[٢٠] ووفقاً لتقرير أذاعته محطة (يورو كنسلت (الإذاعية الأوروبية) -http://www.al-jazirah.com.sa

٣. تزايد عدد الصحف والمجلات الورقة والالكترونية ففي شبة القارة الهندية فقط أكثر من ٨٢ ألف صحيفة [٢٢].هذا عدا الإعلام الجديد ومواقع الانترنت والتي تتكاثر يوميا بشكل يصعب حصره.

ونتيجة لذلك أصبح الإنسان يستقبل يومياً كما هائلا من المعلومات والأخبار من مختلف المصادر والأماكن والتي تحمل الغث والسمين والجميل والقبيح والصحيح والخطأ، وهذه بدورها تسهم في تشكيل فكر الإنسان وبناء شخصيته، لقد أصبحنا نسمع ونرى لوثات فكرية لم نكن نتوقع أن تكون في مجتمعاتنا، فالحديث عن " الشذوذ " و" الفاحشة " و " مقارفة المنكرات " لا على أنه منكر بل على أنه "حرية شخصية " و " حق إنساني " ، بل وصل الأمر إلى التطاول على الذات الإلهية والإلحاد وعن ثوابت شرعية معلومة من الدين بالضرورة .

ومن أجل ذلك ينبغي وضع أسوار عملية للحماية الفكرية ومن أهم هذه الأسوار ثلاثة (**أمت**) :

---

[٢١] http://myinterradios.blogspot.com

[٢٢] تقرير هيئة تسجيل الصحف" في الهند من جريدة الخبر http://www.alkhabar.ma

السور الأول : **ابتعد** (حرف الألف):

عدم التعرض إلى الشبهات والابتعاد عنها وعن أصحابها استمع إلى قوله تعالى : " ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾﴾ النساء: ١٤٠

: وقوله ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾ الأنعام: ٦٨

، وتأمل هذا الموقف " **أتى عمرَ بنَ الخطابِ النبيَّ ﷺ بكتابٍ أصابه من بعضِ أهلِ الكتابِ فقرأه على النبيِّ ﷺ قال فغضب وقال أَمُتَهَوِّكون فيها يا ابنَ الخطابِ لقد جئتُكم به بيضاءَ نقيَّة ..والذي نفسي به لو أنَّ موسى كان حيًّا ما وَسِعَه إلا أن يَتَّبِعَني.**[٢٣] ومعنى " أَمُتَهَوِّكون" أي أمتشككون أو متحيرون، وسعي العبد لمصدر آخر دليل على شكه في المصدر الأول ولو بنسبة ضئيلة .

[٢٣] رواه ابن كثير في البداية والنهاية ١٢٢/٢ وقال إسناده على شرط مسلم وحسنه الألباني في تخريج كتاب السنة ص ٥٠

ومن المهم التنبيه هنا على أن الرد على الشبه وبيان بطلانها واجب ، بل من أولى الواجبات، ولكن ليس لكل أحد وإنما هو لأهل العلم والدراية والتمكن، فلا يكفي سلامة النية والرغبة في الرد على أهل الباطل، بل لابد مع ذلك من العلم الراسخ حتى لا تكون ضحية للشبهات أو ربما تقع الشبه في قلبك ما لا يقع ردها.

وإن قدّر الله وتعرضت لها فعليك بأهل العلم وعدم ترك مساحة كبيرة لها، فالوقت قد يكون سبباً في تجذرها ورسوخها في القلب ، كما في الحديث :" **أيها الناس ، لا تتمنوا لقاء العدو ، وسلوا الله العافية ، فإذا لقيتموهم فاصبروا.."**[٢٤] فعليك بمنهج معرفة الحق و تجنب منهج سماع الشبهات والرد عليها فالسلامة لا يعدلها شيء.

السور الثاني : **ميّز** : (حرف الميم)

إذا لم يمكنك الابتعاد فعليك بالتمييز وبمعنى آخر **لا تكن أُذن**، قال تعالى : " ﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ...﴾ التوبة: ٦١[٢٥] والأُذن هو الذي يقبل كل ما يقال له، لا يميز بين صادق وكاذب ، وعليك بالتمييز بين ما يقبل وما لا يقبل

---

[٢٤] صحيح البخاري ٢٩٦٥

[٢٥] سورة التوبة . قال ابن كثير " قال الله تعالى: { قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ } أي: هو أذن خير، يعرف الصادق من الكاذب، {يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ } أي: ويصدق المؤمنين، { وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ } أي: وهو حجة على الكافرين

وبين ما يصدق ومالا يصدق وبين الصدق والصادق والكذب والكاذب، والتمييز بين الحق والباطل إنما يكون بالإيمان والعلم الصحيح والعقل الفصيح ، أي أنك تحتاج إلى مرشحات (فلترات) لما تسمع وترى ، وكلما كانت هذه المرشحات دقيقة وسليمه كلما كان الترشيح والنقاء للمنتج أفضل والعكس صحيح .

السور الثالث : **لا تسمع بلسانك** (حرف التاء)

فإذا كان السور الثاني يتحدث عن القبول ، فهذا السور يتحدث عما بعد القبول.

ولكن هل يسمع الإنسان بلسانه ؟ حين أنزل الله براءة عائشة ﷺ مما اتُهمت به في حادثة الإفك المشهورة، كان مما قاله سبحانه ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ النور: ١٥ ، وهو يعني أنه تلقى الخبر بأذنه و تحدث به بلسانه دون المرور على عقله وفكره، ولو أمعن وتفكر قليلاً لكن له رأي آخر، ومن هنا قال الله تعالى بعدها : ﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾﴾ النور: ١٦ ، نعم والله لو فكرنا قليلاً لكن مجرد التفكير في الاتهام بهتان عظيم فكيف بتقوله ونقله والحديث عنه ؟ ونظرا لخطورة الكلام والنقل دون تثبت كان حديث

الحبيب ﷺ : " **كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع** "[٢٦] **وفي رواية إثماً بدل كذباً**[٢٧] ، بل جاء وعيد شديد في ذلك فقد قال ﷺ " **وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله ، لا يلقي لها بالا ، يهوي بها في جهنم** "[٢٨] **وفي رواية " وإنَّ الرجلَ ليتكلمُ بالكلمةِ منْ سخطِ اللّهِ تعالى ما يظنُّ أنْ تبلغَ ما بلغتْ ؛ فيكتبُ اللّهُ عليهِ بها سخطَهُ إلى يومِ القيامةِ**"[٢٩] ، لاحظ كلمة " **لا يلقي لها بالا** " ففيه إشارة إلى عدم عدم التفكير والتأني ، فليست القضية أنه تكلم بكلمة ولكنه لكن القضية أنه تكلم دون تمعن وعدم مبالاة ، ومن المعروف أن الإنسان إذا تحدث في قضية فهذا يهني تبنيه للفكرة التي تحدث بها (غالباً) وكما يُقال " الكلمة تملكها فإذا تحدثت بها ملكتك" ويقولون أيضا " الرجوع للحق فضيلة " لأنه يصعب على النفس قبول الرجوع .

وهكذا تكون الأسوار الثلاثة (أمت) هي الواقية – بإذن الله – فعليك بالعناية بها وترميمها ورفعها ، وقبل هذا وذاك عليك بالاتصال بالواحد القهار العزيز الغفار فهو نعم المعين .

---

[٢٦] صحيح الجامع الصغير للألباني ٤٤٨٢

٢٧ صحيح أبي داود للألباني ٤٩٩٢

[٢٨] رواه البخاري ٦٤٧٨

[٢٩] صحيح الترغيب والترهيب للألباني ٢٢٤٧

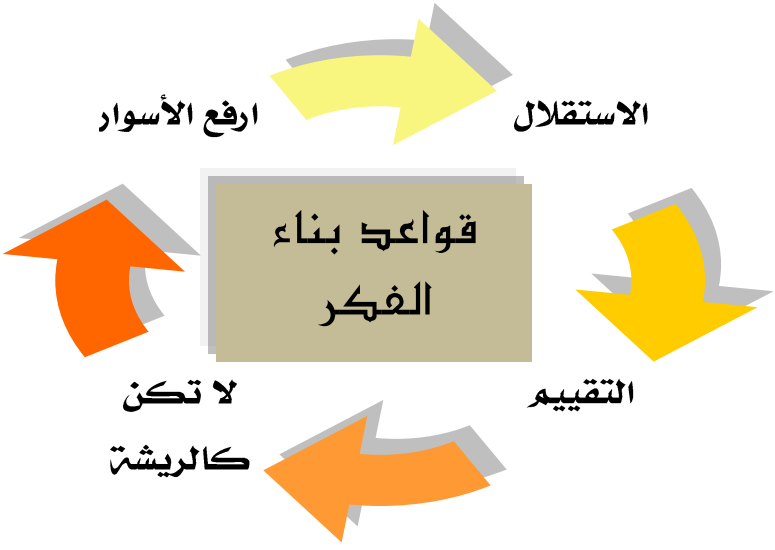

خارطة الفصل الثالث

الفصل الرابع

تغذية الفكر

الانسان يمكن أن يموت جسدياً :

- ✓ إذا لم يأكل خلال بضعة عشر يوماً .... أي أن الإنسان لابد له من تغذية
- ✓ أو إذا لم يشرب الماء خلال ثلاثة ايام ..... أي أن الإنسان لابد له من الشرب .
- ✓ أو إذا لم يتنفس خلال دقائق..... أي أن الإنسان لابد له من هواء.

وأظن أن الإنسان يمكن أن يموت فكريا خلال ... .أي لابد من تغذية الفكر .

وإذا كنا جميعاً نجتهد ونسعى من أجل التغذية الجسدية من المأكل والمشرب ، بل وتفنن فيه البشر من حيث الشكل واللون والطعم والمذاق ، فانتشرت المطاعم بشتى أنواعها ، واصبح أحد معايير الرقي في المجتمعات البشرية ، كما أنه يُدفع الكثير من الأموال في ذلك .

وفي الجانب الآخر ظهر أمر خطير وهو التلوث البيئي (الغذاء والماء والهواء ..) ، وأصبحت هناك منظمات عالمية وهيئات دولية ومحلية هدفها الأساس المحافظة على البيئة و مراقبة الشركات المنتجة للأطعمة وغيرها مما يعطي مؤشراً واضحا على أهمية الموضوع وخطورته.

والآن لنسأل الأسئلة التالية:

- ✓ ما مدى أهمية تغذية الفكر ؟ ، وبطريقة أخرى ما ذا لو لم تتم تغذية الفكر ؟ ،
- ✓ ماذا لو انتشر التلوث الفكري وأصبح وباءاً ؟
- ✓ ما المنظمات المحلية والدولية التي تسعى في المحافظة على الفكر البشري وحمايته من العابثين به ؟
- ✓ أيهما أهم التغذية الجسدية أم التغذية الفكرية ؟

إن الموت الجسدي (غالباً) ليس سبباً بدخول الجنة أو النار ، لكن الموت الفكري قد يؤدي إلى خسارة الدنيا والآخرة ، ولذا كان من الأهمية بمكان أن تطرح على نفسك السؤال التالي :

كيف أستطيع تغذية فكري ؟

وإذا كان الفكر هو جهد ذهني يقوم به الدماغ نتيجة لمؤثر ما ، فإن تغذية الفكر تكون بركنين اساسيين هما :

١. التزود بالمعلومات :

إن الاساس في أي عملية هو المعلومات التي لديك عن هذه العملية ، وكلما كانت المعلومات أكثر واوفر كلما كانت رؤيتك أوسع وأشمل وقرارك أقرب للصواب ومعالجتك أحسن في النتائج والعكس صحيح ، ومن هنا فإن الحرب القادمة هي حرب معلومات ، وعلى مقدار ما تملكه الدولة من معلومات تكون أقرب للانتصار – والله أعلم - .

ولعل هذا أحد الأسرار _ والله أعلم - في وجود الكم الكبير من النصوص الشرعية التي تحث على طلب العلم وترغب فيه ، فالعبد لابد له من علم ومعلومات من أجل عبادة صحيحة ، ومن الملاحظ في حياتنا اليومية أن الإنسان صاحب العلم الكثير يصعب إضلاله كما جاء في الحديث عن النبي الكريم ﷺ: " **لَفقيهٌ واحدٌ أشدُّ على الشَّيطانِ من ألفِ عابدٍ**" .[٣٠]

ومما يجب التنويه به أنه ليس المطلوب هو جمع معلومات بأي شكل ومن أي مصدر ، وإنما المقصود هي المعلومات التي تنطبق عليها الشروط التالية :

[٣٠] " حسن لغيره " الزرقالي في مختصر المقاصد ٨٠٠

✓ **معلومات صحيحة** ، ولها من الأدلة ما يُثبت ذلك ، وإياك الاغترار بالكثرة ، فليس كل كثرة دليل صحة اقرأ هذه الآية " ﴿مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾﴾ الأنعام: ١٦ ، ولما كانت صحة المعلومة ينبني عليها موقف أو سلوكيات فقد حذر نبينا ﷺ من اتباع الظن أبلغ تحذير فقال " **إياكم والظن ، فإن الظن أكذب الحديث** " [٣١] ، وانظر ماذا حصل مع ابليس فقد قال مبررا رفضه السجود لآدم عليه السلام : ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾ الأعراف: ١٢ فقد بنى بأنه خير من آدم عليه السلام على معلومة وهي أن النار خير من الطين ، فمن قال ذلك ؟ وما دليل هذه الخيرية ؟ ، وكم في حياتنا من مواقف وقرارات نعملها بناءا على ما وصلنا من معلومات ثم نندم بعد أن يتضح لنا أن المعلومة غير صحيحة أو ليست بالصورة التي وصلتنا

✓ **سلامة المصدر**: " إنَّ هذا العلم دينٌ فانظروا عمَّن تأخذون دينكم "هكذا قال الإمام محمد بن سيرين ، فهذا الكلام وإن كان خاصاً بالعلم الشرعي ولكنه منهجاً يجب تطبيقه في كل المعلومات نظراً لما يعتمد عليها بعد ذلك ، ويقول ابن مسعود رضي الله عنه: " لا يزال الناس بخير ما أخذوا العلم عن أكابرهم وعن أمنائهم وعلمائهم ،فإذا أخذوه من صغارهم وشرارهم هلكوا" وهذا ما استشفه من مشكاة النبوة فقد

[٣١] صحيح البخاري ٦٧٤٢

قال ﷺ :" **إن الله لا ينزع العلم بعد أن أعطاكموه انتزاعا ، ولكن ينتزعه منهم مع قبض العلماء بعلمهم ، فيبقى ناس جهال ، يستفتون فيفتون برأيهم ، فيضلون ويُضلون**"[٣٢] ، وهكذا حين يختل المصدر (العلماء) تختل المعلومات فالنتيجة الحتمية هي الضلال والإضلال.

✓ **مناسبة** : فليس كل معلومة مناسبة لكل فرد وفي كل زمان وفي كل مكان ، فما يناسب الصغير لا يناسب الكبير والعالم غير الجاهل، وما يصح أن يُقال الآن قد لا يصح بعد زمن ، اسمع قول علي ﷺ :" **حَدِّثوا الناسَ، بما يَعْرِفونَ أتُحِبُّونَ أنْ يُكَذَّبَ، اللَّهُ وَرَسولُهُ** "[٣٣] ، فهذا يعالج قضية النظر إلى المستمع أو الملتقي .

ومعيار آخر وهو خطورة المعلومة وعدم مناسبتها لظرف معين ، ومنه قول أبي هريرة ﷺ :" **حفظتُ من رسولِ اللهِ ﷺ وعاءَيْنِ : فأما أحدُهما فبَثَثْتُهُ، وأما الآخَرُ فلو بَثَثْتُهُ قُطِعَ هذا البُلْعومُ .** "[٣٤] ،

ﷺ ، ومعيار آخر وهو نتائج انتشار هذه المعلومة ومنه حديث :" **أن النبيَّ ومُعاذٌ رَديفُهُ علَى الرَّحْلِ، قال : يا مُعاذَ بنَ جبلٍ . قال : لَبَّيْكَ يا رسولَ اللهِ وسعدَيكَ، قال : يا مُعاذُ . قال : لَبَّيْكَ يا رسولَ اللهِ وسعدَيكَ،**

---

٣٢ صحيح البخاري ٧٣٠٧

٣٣ صحيح البخاري ١٢٧

٣٤ صحيح البخاري ١٢٠

ثلاثا، قال : ما من أُحُدٍ يشهد أن لا إله إلا اللّه وأن محمدًا رسولُ اللّهِ، صدقًا من قَلْبِهِ إلا حرمهُ اللّهُ على النارِ . قال : يا رسولَ اللّهِ، أفلا أُخبِرُ به الناسِ فَيَسْتَبْشِروا ؟ قال : إذًا يَتَّكِلُوا . وأخبرَ بها مُعاذٌ عِندَ بث الحديث إلى حين وفاته، خوفاً ﷺ**موته تأثُّمًا** " برلح.لقد أخّر معاذ من إثم كتم العلم . فالعاقل هو الذي ينظر في حاله ويعرف زمانه فيأخذ من العلم ما يناسبه ويتدرج بالمعلومات بحسب ما يوافقه ، هذا ليس خاصاً بالعلم الشرعي فقط ، بل في عموم العلوم ، فأهل التربية متفقون على ضرورة مراعاة حال المتعلم ومدى مناسبة المعلومة له ، لذا فإن بناء المناهج يكون متسلسلا ومتدرجاً بحسب المتعلم ولا يعطى المتعلم فوق مستواه ، واقرأ معي هذه الآية : " ﴿...وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ٧٩﴾ آل عمران: ٧٩

" إن من معاني الربانيين أنهم يربون الناس بصغار العلم قبل كباره.

٣٥ صحيح البخاري ١٢٨

أما الركن الثاني في تغذية الفكر فهو :

٢ . **معالجة المعلومات** :

﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ قِطَعٞ مُّتَجَٰوِرَٰتٞ وَجَنَّٰتٞ مِّنۡ أَعۡنَٰبٖ وَزَرۡعٞ وَنَخِيلٞ صِنۡوَانٞ وَغَيۡرُ صِنۡوَانٖ يُسۡقَىٰ بِمَآءٖ وَٰحِدٖ وَنُفَضِّلُ بَعۡضَهَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلۡأُكُلِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ٤﴾ الرعد: ٤

، هكذا يبين الله شيئاً من قدرته في النبات ، فالماء واحد ولكن الناتج منه يختلف اختلافاً كبيرا ، وهكذا – والله أعلم – الفكر ، فالحياة واحدة والمواقف واحدة والمعلومات واحدة وغالباً متاحة للجميع ، ولكن الاختلاف بين البشر في معالجة هذه المعلومات والتعامل معها يختلف اختلافاً كلياً ، حتى أنك قد لا تجد شخصين يتفقان في تفسير موقف واحد أو التعبير عن قضية واحدة وإن كانا عاشا في الظروف نفسها .

إن هذه القضية تقودنا إلى أمر مهم بل في غاية الأهمية ، وهو :

- ما المهارات التي يتعامل معها العقل البشري في معالجته للمعلومات والمواقف ؟
- وهل يمكن اكتساب تلك المهارات وتطويرها ؟
- هل بإمكاننا توجيه تلك المهارات للخروج بالنتائج المطلوبة ؟

أي أننا نتحدث " مهارات التفكير " ذلك العلم القديم الجديد ، فهو وإن انتشر في الحديث ولكنه قديم قِدم البشرية ، وإليه اشار القرآن المجيد ومارسه الرسول الكريم ﷺ في حياته ، بل ودرّب اصحابه عليه ، ولما كانت " مهارات التفكير " كثيرة ومتنوعة ، فقد صنف فيها الكثير من الغرب والشرق ، ولكلٍ طريقته ، وسنقتصر هنا في تقسيمها إلى نوعين [٣٦] :

١. مهارات التفكير الأساسية .
٢. استراتيجيات التفكير.

ولنبدأ بالحدث عن القسم الأول :

مهارات التفكير الأساسية : وهو مجموعة من المهارات التي تعتبر المنطلق والقاعدة لما بعدها ، والتي يحتاجها كل الناس تقريباً ، فالعاقل يجتهد في تنميتها لديه وتوظيفها بما لديه ، ومن أهم تلك المهارات :

[٣٦] وهناك من يقسمها إلى اكثر من ذلك.

١ / مهارة الملاحظة :

" يوريكا " كلمة اطلقها ارخميدس قبل أكثر من ألفي عام وهي تعني " وجدتها " وذلك حين اكتشف قانون الطفو العام وحل مشكلة الملك في ذلك الوقت [٣٧].

لقد كان حل المعضلة عن طريق الملاحظة ، ومثله كثير في الاختراعات والنظريات .

والملاحظة هي أم المهارات ورافدها الأساس، وهي تعني استخدام حاسة أو اكثر من الحواس الخمس (النظر والسمع والشم واللمس والتذوق) في التعرف على خصائص الأشياء أو الحياة.

وثمار هذه المهارة أكثر من أن يحصر فمن ذلك :

استجابة لدعوة القرآن: فكثيرا ما يدعو القرآن الكريم إلى النظر والتأمل ، فمن ذلك " ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ١٠١﴾ يونس: ١٠" وقد جاءت الدعوة

[٣٧] في القصة المشهورة لمعرفة الذهب المغشوش من عدمه .

إلى النظر في أكثر من عشر مواضع ، وقوله ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾ الغاشية: ١٧ - ٢٠ وغيرها كثير

- ✓ **ملاحظة العبد نفسه**، فقد كان الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى إذا أشكلت عليه مسألة قال لأصحابه: ما هذا إلا لذنبٍ أحدثته ! وكان يستغفر، وربما قام وصلى، فتتكشف له المسألة، ويقول: رجوتُ أني تِيبَ عليّ . فبلغ ذلك الفضيل بن عياض، فبكى بكاء شديداً ثم قال: ذلك لقلة ذنبه، فأما غيره فلا ينتبه لهذا. و قول الفضيل بن عياض :" إني لأعصي الله فأجد ذلك في خلق دابتي وامرأتي". وليس المقصود معرفة الذات في الأخطاء فقط بل حتى في المواهب والهبات الربانية لك.
- ✓ **تحسين العلاقات** اقرأ معي هذا الحديث : عن عائشة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال لها :" **إني لأعلم إذا كنت عني راضية ، وإذا كنت علي غضبى قالت : فقلت : من أين تعرف ذلك ؟ فقال : أما إذا كنت عني راضية ، فإنك تقولين : لا ورب محمد ، وإذا كنت غضبى ، قلت : لا ورب إبراهيم) . قالت : قلت : أجل والله يا رسول الله ، ما**

أهجر إلا اسمك "[٣٨]. سبحان الله، كلمة واحدة لقد كانت ملاحظة النبي الكريم ﷺ حتى في الكلمات ، فمَن ينتبه لذلك؟

٢ / مهارة الحفظ

وهي من المهارات المهمة والضرورية لكل إنسان ، فمن اراد الرقي ومعالي الامور فعليه بالحفظ ، فهي أول السلم وبها تُفتح المهارات ، وللأسف فإن هناك من يُقلل من أهمية الحفظ وينظر إليه نظرة احتقار وانتقاص فيقال فلان ببغاء ! وفلان مسجل وما علم هؤلاء أن منطلق العلوم من الحفظ فالعالم الحقيقي هو الذي يحفظ ويعرف كيف يثبت المعلومة ويتدرب على وسائل استدعاءها واسترجاعها عند الحاجة إليها . فلولا الله ثم الحفظ لما وصلنا العلم ، لذا جاء ابو هريرة رضي الله عنه فقال :" **يا رسولَ اللهِ، إني أسمعُ منك حديث كثيرًا أنْساهُ ؟ قال : أبسُطْ رِدَاءَكَ . فبسطتهُ، قال : فغرفَ بيديهِ، ثم قال : ضُمَّهُ فَضَمَمْتُهُ، فما نسيتُ شيئًا بعدهُ**" [٣٩] ، وهكذا كان أبا هريرة سيد الحفاظ فقد نقل إلينا الآلآف الأحاديث مع أنه جلس مع النبيﷺ اربع سنين فقط، فمن نعم الله على العبد ان يرزقه حافظة قوية ثم يوفقه ليستثمرها في الخير ، ومن الغبن أن لا يعرف العبد تلك النعمة ، اقرأ هذه القصة :

---

[٣٨] البخاري ٥٢٢٨

[٣٩] البخاري ١١٩

يقول محمد بن أبي حاتم: قلت لأبي عبد الله[٤٠]: كيف كان بدء أمرك قال ألهمت حفظ الحديث وأنا في الكتاب فقلت كم كان سنك فقال عشر سنين أو أقل ثم خرجت من الكتاب بعد العشر فجعلت أختلف إلى الداخلي وغيره فقال يوما فيما كان يقرأ للناس سفيان عن أبي الزبير عن إبراهيم، فقلت له: إن أبا الزبير لم يرو عن إبراهيم فانتهرني فقلت له ارجع إلى الأصل، فدخل فنظر فيه ثم خرج فقال لي: كيف هو يا غلام؟ قلت: هو الزبير بن عدي عن إبراهيم. فأخذ القلم مني وأحكم(أصلح) كتابه وقال: صدقت. فقيل للبخاري ابن كم كنت حين رددت عليه قال ابن إحدى عشرة سنة.

٣ / مهارة الفهم :

وهي مرحلة أعلى في سلّم المهارات ، وهي تعني إدراك ما وراء المعلومة أو الموقف والوصول إلى نتائج غير ظاهرة مباشرة .

[٤٠] أي البخاري

اسمع ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ إِذۡ نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ وَكُنَّا لِحُكۡمِهِمۡ شَٰهِدِينَ ٧٨﴾ الأنبياء: ٧٨ وموجز القصة أنه تحاكم صاحب حرث، نفشت فيه غنم القوم الآخرين، أي: رعت ليلا فأكلت ما في أشجاره، ورعت زرعه، فقضى فيه داود عليه السلام ، بأن الغنم تكون لصاحب الحرث، نظرا إلى تفريط أصحابها، فعاقبهم بهذه العقوبة، وحكم فيها سليمان عليه السلام بحكم موافق للصواب، بأن أصحاب الغنم يدفعون غنمهم إلى صاحب الحرث فينتفع بدرها وصوفها ويقومون على بستان صاحب الحرث، حتى يعود إلى حاله الأولى، فإذا عاد إلى حاله، ترادا ورجع كل منهما بما له، وكان هذا من كمال فهمه وفطنته عليه السلام[٤١]. وهكذا يذكر الله امتنانه على عبده سليمان عليه السلام بأنه " أفهمه " ، فالفهم من المهارات الضرورية ، وهي نعمة ربانية – نسأل الله العظيم من فضله - ، لذا جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : " **أن النبي ﷺ دخل الخلاء ، فوضعت له وضوءا ، قال : من وضع هذا . فأخبر ، فقال :** اللهم فقهه في الدين.[٤٢]، ليس هذا فقط بل إن الرسول الكريم قال :" **مَن يُرِدِ اللهُ به خيرًا يُفَقِّهْهُ في الدِّينِ**" ، ألا فليبشر من رُزِق الفقه في الدين بأن الله أراد به خير ، والعكس صحيح .

ألا فلنكن على يقين بأن تلك المهارات وغيرها مبثوثة في شرعنا وليست وليدة الغرب ولا شرق ، فعلينا البحث والغوص في كتاب ربنا وسنة نبينا ﷺ فسنجد الكم الكبير والوفير عن تلك المهارات وغيرها.

---

[٤١] تفسير بن سعدي

[٤٢] البخاري ١٤٣

٤ / مهارة الربط :

وتعني ربط معلومة بمعلومة أخرى لتوضيح المعنى وتزيل الإشكال أو من أجل استنتاج معلومة جديدة بطريقة علمية وعقلية وبدون تكلف .

وثمار هذه المهارة كثيرة ومنها :

التفسير والايضاح : وتعني تفسير نص من نص آخر في مكان مختلف ، وهي مهمة في تفسير النصوص وتوضيح المقصود ، و قدوتنا في ذلك الحبيب ﷺ اقرأ وتأمل هذا الحديث : "لما نزلتْ هذه الآيةُ : {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ } . شقَّ ذلك على أصحابِ رسولِ اللَّه ﷺ، وقالوا : أيُّنا لم يلبسْ إيمانَه بظلمٍ ؟ فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : (إنهُ ليس بذلكَ، ألا تسمعون إلى قولِ لقمانَ : {إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ}[٤٣] . وعلى هذا سار سلفنا الصالح وأعملوا الفكر والنظر في القرآن الكريم ، وإليك مثال: قال تعالى : " ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ٣٧﴾ البقرة: ٣٧ ، فما الكلمات التي تلقاها آدم عليه السلام من ربه ؟ لقد بحث علماؤنا و اتضح أن النص مذكور في القرآن الكريم في موضع آخر وهو قوله تعالى : " ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٢٣﴾ الأعراف: ٢٣

[٤٣] رواه البخاري ٦٩١٨

، ثم سار على ذلك الدرب الكثير من العلماء ومنهم الشيخ محمد الأمين الشنقيطي[٤٤] صاحب كتاب " أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن" والذي يعتمد على تفسير القرآن بالقرآن .

الاستنتاج : وتعني ربط معلومتين والحصول منهما على معلومة جديدة ، وإليك هذه الحادثة : عن أبي الأسود: أنه رُفع إلى عمر ﷺ أن امرأة ولدت لستة أشهر، فهمَّ عمر ﷺ برجمها، فقال له علي ﷺ: ليس لك ذلك. قال الله تعالى: ﴿ ۞ وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِۖ لِمَنۡ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَۚ ....﴿٢٣٣﴾ ﴾ البقرة: ٢٣٣

، وقال تعالى: " ﴿...وَحَمۡلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهۡرًاۚ...﴾ الأحقاف: ١٥

فحولان وستة أشهر ثلاثون شهراً، لا رجم عليها، فخلى عمر ﷺ سبيلها، وولدت مرة أخرى لذلك الحد.

المقارنة : وهي النظر في أمرين وملاحظة ما بينهما من عناصر مشتركة وعناصر مختلفة ثم الحصول على معطيات جديدة ، ومن الأمثلة على المقارنة القياس[٤٥] فهو النظر في نصين (أصل وفرع) والبحث عن الصفة المشتركة (العلة) ثم الحصول على النتيجة وهي الحكم ، وقد فعل ذلك حبيبنا ﷺ ، بل إنه (القياس) ساهم في حل مشكلة كبيرة يمكن ان تقع بين رجل وزوجته ، فعن أبي هريرة ﷺ :

٤٤ محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الشنقيطي ت ١٣٩٣هـ

٤٥ تعريف القياس اصطلاحا : تسوية فرع بأصل في حكم لعلَّة جامعة بينهما. والقياس له شروط واحكام يمكن الرجوع إليها في مرجعها المعتمدة.

أن رجلا أتى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ، ولد لي غلام أسود ، فقال : (هل لك من إبل) . قال : نعم ، قال : (ما ألوانها) . قال : حمر ، قال : (هل فيها من أورق) . قال : نعم ، قال : (فأنى ذلك) . قال : لعله نزعه عرق ، قال : (فلعل ابنك هذا نزعة)[٤٦].

٥ / مهارة الاستنباط :

وهي مهارة وجميلة ومهمة وتعني الوصول إلى معلومة جديدة من معلومة موجودة بطرق خفية ، لا يصلها كل احد . وهذه المهارة من الفوارق الرئيسة بين العلماء وقدرتهم في التعامل مع النصوص، وهي مجال خصب ورحب للوصول إلى بعض الأحكام والأسرار الربانية في النصوص الشرعية وغيرها.

كما انها تساهم في إبراز شيء من عظمة شيء الخالق ﷻ من خلال آياته الشرعية والكونية ، ولسلفنا الصالح نصيب السد من هذه المهارة واستنباطاتهم أكثر من أن نذكر الآن ، ولنأخذ مثلاً واحداً : فقد كان لهارون الرشيد علج طبيب، له فطنة وأدب، فود الرشيد أن لو أسلم فقال له يوماً :ما يمنعك عن الإسلام؟

فقال: آية في كتابكم حجة على ما أَنْتَحِلُه(أؤمن به).

---

٤٦ رواه البخاري ٥٣٠٥

قال: وما هي؟

قال: قوله تعالى عن عيسى: (وروح منه) [النساء ١٧١] وهو الذي نحن عليه.

فعظم ذلك على الرشيد وجمع له العلماء فلم يحضرهم جواب ذلك حتى ورد قوم من خراسان فيهم علي بن وافد من أهل علم القرآن، فأخبره الرشيد بالمسألة فاستعجم عليه الجواب ثم خلا بنفسه وقال: " ما أجد المطلوب إلا في كتاب الله."

فابتدأ القرآن من أوله وقرأ حتى بلغ سورة الجاثية إلى قوله تعالى: (وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه] (الجاثية ١٣.[

فخرج إلى الرشيد وأحضر العلج فقرأها عليه وقال له: إن كان قوله تعالى: (روح منه) يوجب أن يكون عيسى بعضاً منه تعالى وجب ذلك في السموات والأرض.

فانقطع النصراني ولم يجد جواباً ,فأسلم النصراني وسُر الرشيد بذلك وأجزل صلة ابن وافد.

فلما رجع ابن وافد إلى بلده صنف كتاب النظائر في القرآن.[٤٧]

[٤٧] عيون المناظرات لأبي علي السكوني

و لاتزال تلك المهارة حتى وقتنا الحاضر فهذا الشيخ بن سعدي – رحمه الله –[٤٨] استنبط من آية الوضوء (آية رقم ٦ من سورة المائدة) أكثر من ٥٠(خمسين) حكماً[٤٩]، وكذلك الشيخ سليمان العلوان - أطال الله عمره على طاعته - استنبط من حديث (لا تغضب) اكثر من ٥٠ (خمسين) فائدة[٥٠] ، وغيرهم كثير .

تلك خمس مهارات تفكير اساسية ويوجد غيرها الكثير ، ولكني اكتفيت بذكر الأهم –والله اعلم - ، ومن اراد الزيادة فعليه الرجوع إلى الكتب المعتمدة ، وإن كنت اتمنى أن ينبري لهذا الفن (مهارات التفكير) فريق من العلماء وطلبة العلم ، ليخرجوا لنا من كنوز القرآن والسنة ما يعين – بعد الله – على رسم الطريق في تعبيد الخلق للخالق .

هكذا نكون ختمنا الكلام عن مهارات التفكير الأساسية .

وبقي أن نجمع تلك المهارات في اسلوب التفكير وهو ما يُسمى " استراتيجيات التفكير "

---

٤٨ الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي من علماء عنيزة بالقصيم ت ١٣٧٦هـ

٤٩ http://yafeau.net

٥٠ http://www.lakii.com

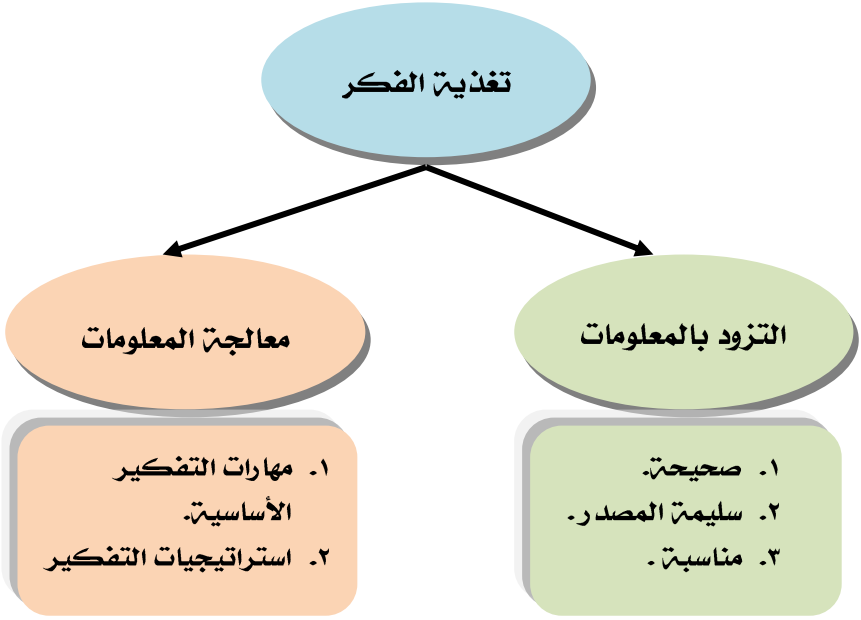
تغذية الفكر
التزود بالمعلومات
١. صحيحة.
٢. سليمة المصدر.
٣. مناسبة.
معالجة المعلومات
١. مهارات التفكير الأساسية.
٢. استراتيجيات التفكير

استراتيجيات التفكير

- ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ.. ﴾ النور: ١١
- ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ الحج: ٣٩،
- " لا تعجلْ لعلَّ اللّهَ أن يجعلَ لك صاحبًا"[٥١]
- " فأبشروا ، فاستبشر المسلمون وقالوا : الحمد لله موعود صادق !"[٥٢]
- " ولو نزل أول شيء : لا تشربوا الخمر ، لقالوا : لا ندع الخمر أبدا ، ولو نزل : لا تزنوا ، لقالوا : لا ندع الزنا أبدا" [٥٣]

تلك كلمات لها تاريخ ولها صداها ولها تأثيرها على الواقع ، كما أنها تشير إلى قضية مهمة جداً وأمر لا يستغني عنه عموم البشر فضلاً عن أصحاب الهمم والقمم .

---

٥١ "بدون إسناد: لكن معناه فيما أخرجه البخاري " الألباني في فقه السيرة ١٦٠

٥٢ ابن كثير في البداية والنهاية ٤ / ١٠١

٥٣ رواه البخاري ٤٩٩٣

ومما في هذه العبارات من حِكم ودروس أنها تحوي استراتيجيات تفكير ن توصل إلى بعضها العلم الحديث . ونعني باستراتيجية التفكير هي توظيف مجموعة من مهارات التفكير الأساسية التي توصل إلى حل لقضية معينة أو تساهم في معالجتها .

ومن أهم الاستراتيجيات التي يحتاجها العبد والمسلم بالذات في حياته اليومية ثلاث هي :

١ / التخطيط .

٢ / حل المشكلات .

٣ / إدارة القرار .

١ / التخطيط :

وهو رسم الطريق (الوسائل) الأكثر كفاءة[٥٤] لتحقيق الهدف المطلوب ، فلا تخطيط بلا اهداف و لا تحقيق للأهداف دون طريق تسير عليه .

والمتأمل في حياة نبينا الكريم ﷺ يلمس بوضح التخطيط الرباني في الدعوة من بداية البعثة حتى الوفاة ، فكل خطوة لها وقتها ولها

[٥٤] مثلث الكفاءة : أقل تكلفة واسرع وقت وأعلى جودة .

حيثياتها ، ومن امثلة ذلك قوله تعالى : ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ الحج: ٣٩، هذه الآية مدنية (في المدينة) ، فلا قتال قبل هذا الوقت مع أن الأذى الكبير حصل للمسلمين في مكة المكرمة ، ولعل من الحكم والله أعلم ما قاله ابن كثير في تفسيره :" وإنما شرع الله تعالى الجهاد في الوقت الأليق به؛ لأنهم لما كانوا بمكة كان المشركون أكثر عددًا، فلو أمرَ المسلمين، وهم أقل من العشر، بقتال الباقين لشَقَّ عليهم."، بل وصل التخطيط حتى في اختيار الشخصية المرافقة لنبينا الحبيب ﷺ في هجرته ، فحين استأذنه ابو بكر الصديق ﷺ في الهجرة قال : " " لا تعجلْ لعلَّ اللَّهَ أن يجعلَ لك صاحبًا"

والتخطيط الناجح يحتاج إلى عنصرين أساسيين :

١. الهدف : ومن أهم معايير الهدف الجيد أنه طموح و واضح و قابل للقياس.
٢. الوسائل : الأكثر فاعلية والأعلى كفاءة .

وهذين العنصرين يحتاجان إلى ملاحظة واستنتاج ، كما أن سلوك الطريق يحتاج إلى إرادة وصبر ، وهذه كلها من المهارات الأساسية .

٢ / حل المشكلات :

طبيعة الحياة لا يمكن أن تخلوا من المشاكل ، على المستوى الفردي والجماعي والأممي، فالعاقل هو الذي يدرك ذلك ويسعى للتدريب على مواجهة المشاكل وحسن توظيفها من أجل تحقيق أكثر المكاسب الدينية و الدنيوية ، وقد مارس رسولنا الكريم اسلوب حل المشكلات عملياً وطبقه في حياته الخاصة والعامة .

وحل المشكلات من أكثر القضايا التي تحدث عنها علماء الاجتماع والتربية ، وقد وُضِعت العديد من الاستراتيجيات والخطوات التطبيقية من أجل الوصول إلى أفضل الحلول ، وبالإجمال فإن جميع هذه الاستراتيجيات ترجع في الغالب إلى الخطوات التالية :

أ- ملاحظة مظاهر المشكلة بطرق علمية وعدم الاكتفاء بالملاحظات الشخصية أو العاطفية .

ب- تحديد المشكلة بدقة (ومنه عمليات الكشف الطبي من تحاليل واشعة وقياسات وغيرها).

ت- اختيار أفضل حل بعد طرح مجموعة من الحلول، ويكون ذلك وِفق معايير لدى صاحب المشكلة .

ث- تطبيق الحل .

ج- تقييم الحل ومدى معالجته للمشكلة ، فقد تكون نتائج الحل غير كافية مما يتطلب البحث عن حل آخر ، أو ربما تظهر مشكلة بسب الحل فتتطلب معالجة أخرى .

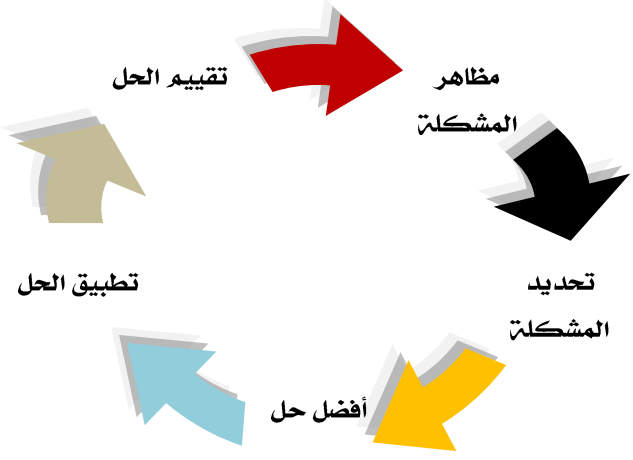

ومن أهم عناصر في معالجة المشاكل (إن لم يكن اهمها) هو الحالة النفسية لصاحب المشكلة ونظرته الايجابية من أجل الوصول إلى انسب معالجة ، بل وتحويل المحنة إلى منحة ، وإليك ذلك المثال العجيب ، فها هي عائشة ﵂ زوج الرسول الكريم ﷺ تُتهم – زوراً وبهتانا -في أخطر قضية ، فكيف عالج القرآن الكريم تلك

المشكلة ؟لن نتعرض لكل التفاصيل القرآنية ولكنا نشير إلى أهمها : اقرأ : قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ..﴾ النور: ١١ ، لقد بدأ القرآن الكريم بتعديل النظرة إلى المشكلة فهي ليست " شَرًّا لَكُمْ " ، وقد كان كافياً أنها ليست شراً ، ولكن القرآن الكريم ارتفع بالنفس البشرية إلى مستوى أعلى فقال :" بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ" اللّه أكبر ، لقد انتقل بالنظرة من السلبية المحضة إلى الخيرية ، وبما انها خير فهي دافع لصاحب المشكلة لتقبلها والتعامل معها بأسلوب مختلف تماما ، وإليك موقفاً عملياً آخر يقول البراء بن عازب ﷺ : **" لما كان حين أمرنا رسولُ اللّهِ ﷺ بحفْرِ الخَنْدَقِ عَرَضَتْ لنا في بعضِ الخَنْدَقِ صخرةٌ لا نأخذُ فيها المَعَاوِلَ، فاشتَكَيْنا ذلك إلى النبيِّ ﷺ، فجاء فأخذ المِعْوَلَ فقال : بسمِ اللّهِ، فضرب ضربةً فكسر ثُلُثَها، وقال : اللّهُ أكبرُ أُعْطِيتُ مَفاتيحَ الشامِ، واللّهِ إني لَأُبْصِرُ قصورَها الحُمْرَ الساعةَ، ثم ضرب الثانيةَ فقطع الثُلُثَ الآخَرَ فقال : اللّهُ أكبرُ، أُعْطِيتُ مفاتيحَ فارسٍ، واللّهِ إني لَأُبْصِرُ قصرَ المدائنِ أبيضَ، ثم ضرب الثالثةَ وقال : بسمِ اللّهِ، فقطع بَقِيَّةَ الحَجَرِ فقال : اللّهُ أكبرُ أُعْطِيتُ مَفاتيحَ اليَمَنِ، واللّهِ إني لَأُبْصِرُ أبوابَ صنعاءَ من مكاني هذا الساعةَ".**[٥٥] اللّه أكبر إنها اروح الايجابية ففي عز موقف الأحزاب وشدته يبشرهم ﷺ بفتح الشام والعراق واليمن ، وكأنه يقول لهم إن معركة الأحزاب ستنتهي

[٥٥] اسناده حسن " فتح الباري لابن حجر العسقلاني ٧/٤٥٨

لصالحنا، بل و وأبعد منها فأبشروا وأملوا وافرحوا ، وقد حصل ما ذكره ﷺ .

٣/ إدارة القرار

روى البخاري في صحيحه أن عائشة ﷺ قالت : إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل ، فيها ذكر الجنة والنار ، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام ، ولو نزل أول شيء : لا تشربوا الخمر ، لقالوا : لا ندع الخمر أبدا ، ولو نزل : لا تزنوا ، لقالوا : لا ندع الزنا أبدا ، لقد نزل بمكة على محمد صلى الله عليه وسلم وإني لجارية ألعب : { بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر } . وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده ..[٥٦]

نحن في كل يوم ، وربما في كل ساعة نتخذ قراراً أو اكثر ، وفي كثير من الأحيان تكون ممارستنا لتلك الاستراتيجية مبنية على التخزين الداخلي لما نملكه من تجارب ومعلومات ، وربما القليل أولئك الذي تفكروا في مهارات اتخاذ القرار ، وكيف يكون قرارنا صحيحا .؟ وما نتائج ذلك على واقعنا وحياتنا.

[٥٦] البخاري ٤٩٩٣

لقد كانت قضية شرب الخمر والزنا منتشرة في المجتمع الجاهلي بل ومقبولة من الكثير ، حتى انه يصعب جداً تغييرها ، ومن هنا كان تحريمها يحتاج إلى وقت وملاحظة واستنتاج ، فربما تكون النتائج عكسية ، وهذا ما صرحت به الصدّيقة بنت الصدّيق – رضي الله عنهما – ، فها هي تُعلن أنه لو كان تحريم الخمر في بداية نزول القرآن لكانت النتيجة هي رفض ذلك وعدم الاستجابة وهذا له ما بعده ، فقد أدركت شيئاً من حِكم الباري سبحانه في تأخير تحريم الخمر والزنا والتسلسل فيه .

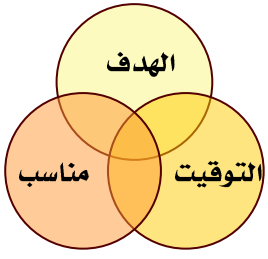

من المهم أن تتخذ قراراً ، ولكن الأهم أن يكون القرار صحيحاً ومؤثراً وايجابياً ، فاتخاذ القرار ليس هدفاً بذاته ولكنه وسيلة لتحقيق مصلحة معينة ، فيجب أن يكون تركيزك على مدى إمكانية تحقيق الهدف وليس على الوسيلة المستخدمة ، ولعل منه ما ذكره بعض أهل العلم : " أن انكار المنكر إذا كان يؤدي إلى منكر أكبر منه ، فإنكار المنكر منكر " ، وغيره كثير .

وحتى يكون قرارك صحيحاً عليك بمراعاة البنود التالية :

أ- الهدف من القرار .

ب- التوقيت .

ت- مناسب لمن سيقع عليه القرار ، وقدرته على تطبيقه " إذا أردت ان تُطاع فأمر بالمستطاع " والمستطاع هو للمقابل وليس لك.

الأزمة هي حدث مفاجأ غير متوقع يعرض في الطريق قد يؤدي إلى إعاقة تحقيق الهدف أو تأخيره أن لم يُتدارك بسرعة .

ونظراً لتشعب الأزمات وتنوعها وكثرتها ، فقد برز علم إدارة الأزمات في الآونة الأخيرة بصورة كبيرة، وهو علم ليس بالجديد، فهناك الكثير من الممارسات العملية له ، وخير من طبق ذلك هو الرسول الكريم ﷺ ففي غزوة الأحزاب والتي جمعت الخوف والبرد وكثرة الأعداء (١٠٠٠٠ مقاتل) ، وحين وصف القرآن الكريم ذلك قال :" ﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ ﴾ الأحزاب: ١٠ يأتي خبر إلى الحبيب ﷺ بأن اليهود نقضوا العهد، وهذا بلا شك يعني أزمة كبيرة ولنترك ابن كثير يتحدث عن ذلك :" وسرت الشائعات بين المسلمين بأن قريظة قد نقضت عهدها معهم، وكان الرسولُ محمدٌ يخشى أن تنقض بنو قريظة العهد الذي بينهم وبينه، ولذلك انتدب الزبير بن العوام ليأتيه من أخبارهم فذهب الزبير، فنظر ثم رجع فقال: "يا رسول اللّه، رأيتهم يصلحون حصونهم ويدربون طرقهم، وقد جمعوا ماشيتهم"، وبعد أن كثرت القرائن الدالة على نقض بني قريظة

للعهد، أرسل الرسولُ سعد بن معاذ وسعد بن عبادة وعبد الله بن رواحة وخوات بن جبير وقال لهم: «انطلقوا حتى تنظروا أحقٌ ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا؟ فإن كان حقًّا فالحنوا لي لحنًا أعرفه، ولا تفتوا في أعضاد الناس، وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به للناس»، فخرجوا حتى أتوهم، فوجدوهم قد نقضوا العهد، فرجعوا فسلموا على الرسول وقالوا: "عضل والقارة"، فعرف الرسولُ مرادهم. ومعنى الحنوا لي لحنًا: أي قولوا لي كلاماً لا يفهمه أحد سواي، وعضل والقارة: قبيلتان من كنانة سبق منهما الغدرُ بأصحاب الرسولِ في "ذات الرجيع".

واستقبل الرسولُ خدر بني قريظة بالثبات والحزم واستخدام كل الوسائل التي من شأنها أن تقوي روح المؤمنين المعنوية وتصدع جبهات المعتدين، فأرسل في الوقت نفسه سلمة بن أسلم في مائتي رجل، وزيد بن حارثة في ثلاثمائة رجل، يحرسون المدينة، ويظهرون التكبير ليرهبوا بني قريظة[٥٧].

وتذكر بعض الروايات أنه ﷺ كبّر حين أومأ الصحابة له بنقض بني قريظة.

ومن خلال ذلك نستخلص الخطوات التالية :

التأكد: من صحة الخبر.

---

٥٧ http://ar.wikipedia.org

استقبال: الأزمة بروح عالية وشجاعة (التكبير)وعدم إظهار التخلل وخاصة أمام الأتباع .

النشر : عدم نشر الخبر السلبي وإعلان الايجابي .

اعكس : أي بادر بعمل يُظهر عكس ما يريده مثيرو الأزمة، (التكبير عند بني قريظة).

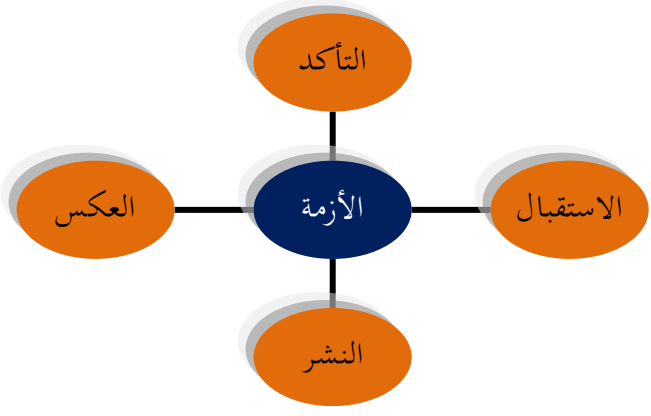

تلك أهم استراتيجيات التفكير التي ينبغي لنا التدرب والتدريب عليها ، فالمسلم الذي يجمع المهارات الاساسية والاستراتيجيات الرئيسة فأحسبه – والله اعلم – سيكون من أفضل الناجحين والفائزين في الدنيا والآخرة .

والشكل التالي يمثل خارطة معالجة المعلومات :

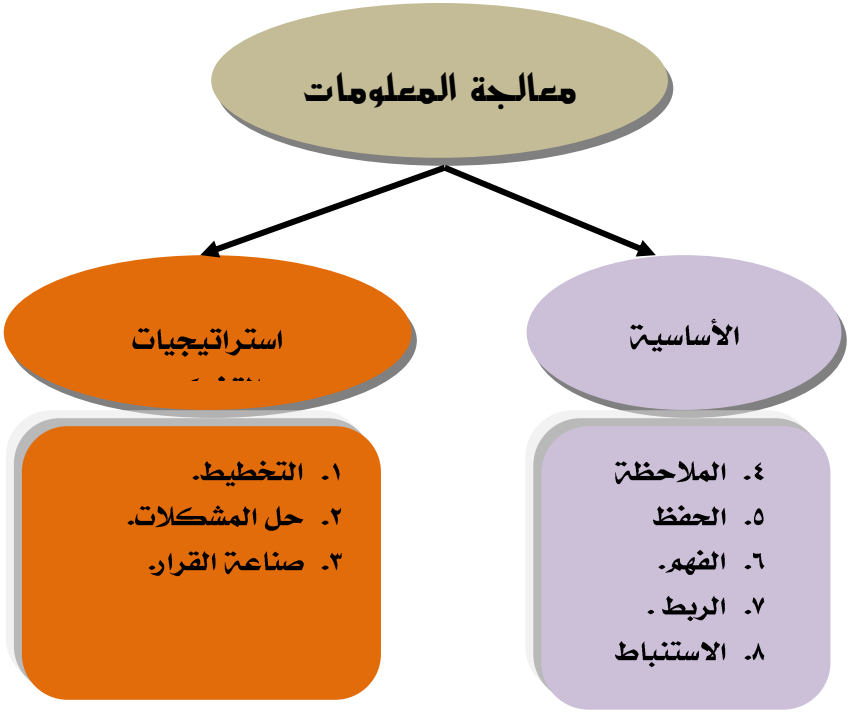

خارطة معالجة المعلومات .

وقبل ان نودع الكلام عن مهارات التفكير ، لابد من الإجابة على سؤال مهم أظنه في ذهنك – أخي القارئ الكريم – ألا وهو : كيف يمكن اكتساب أو تنمية تلك المهارات ؟

والإجابة على هذا السؤال تكمن في **ثلاث خطوات** :

١ / صناعة الإرادة :

فالسؤال المهم لك : هل تريد أو لا تريد؟ ، فمن أراد فسيصل بإذن الله، والإرادة تعني الرغبة القوية في الاكتساب وتكوين الاستعداد النفسي لقبول التغيير ، واوضح ذلك حبيبنا ﷺ بقوله : **إنما العلمُ بالتَّعلُّمِ ، و إنما الحِلمُ بالتَّحلُّمِ ، و من يتحرَّ الخيرَ يُعطَهْ ، و من يتَّقِ الشرَّ يُوَقَّه"** [٥٨] ، فمن " يتحر " يُعطى ، ومن " يتق "يوقى ، ومن لم يتحرى ولم يتوقى لأنها ربما كانت أماني فهي مجرد رغبات وأحلام لا تستند إلى دافعٍ قوي، لذا قال حبيبنا ﷺ :" **الكيسُ[٥٩] منْ دانَ نفسَهُ، و عملَ لِمَا بعدَ الموتِ، و العاجزُ منْ أَتْبَعَ نفسَهُ هواهَا، و تمنَّى على اللهِ الأمانيّ** "[٦٠] ، هل لاحظت الفرق بين الكيّس والمتمني !! ، و من وسائل صناعة الإرادة إدراك أهمية الموضوع وحيويته بالنسبة لك ولأهدافك ، وفي المقابل التعرف على مضار إهمال الموضوع ونتائج ذلك على المستوى الفردي والجماعي .

---

٥٨ حسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير ٢٣٢٨

٥٩ الكيّس : الفطن وصاحب الإرادة

٦٠ قال عنه السيوطي صحيح في الجامع الصغير ٦٤٦٨

٢ / سلوك الطريق :

ينبغي معرفة الطريق الموصل لاكتساب تلك المهارة ،ثم السير على ذلك الطريق ، ومن أهم طرق اكتساب المهارات الأساسية هو التدريب النظري والعملي وتكراره وتقييم الذات بعد كل فترة زمنية معينة ، تأمل قول الحبيب ﷺ :" **عليكم بالصِّدقِ . فإنَّ الصِّدقَ يهدي إلى البرِّ . وإنَّ البرَّ يهدي إلى الجنَّةِ . وما يزالُ الرَّجلُ يصدُقُ ويتحرَّى الصِّدقَ حتَّى يُكتبَ عند اللهِ صِدِّيقًا . وإيَّاكم والكذبَ . فإنَّ الكذبَ يهدي إلى الفجورِ . وإنَّ الفجورَ يهدي إلى النَّارِ . وما يزالُ الرَّجلُ يكذبُ ويتحرَّى الكذبَ حتَّى يُكتبَ عند اللهِ كذَّابًا**"[٦١].

٣ / الصبر :

فالوصول قد يطول ، والطريق قد يصعب ، لكنه مفرح.

وفي كل الخطوات وقبلها وبعدها عليك بالإخلاص لله تعالى وتيقن من المعادلة الربانية ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ..﴾ العنكبوت: ٦٩

مجاهدة (بذل اسباب) + إخلاص = هداية (تحقيق الهدف)

٦١ رواه مسلم ٢٦٠٧

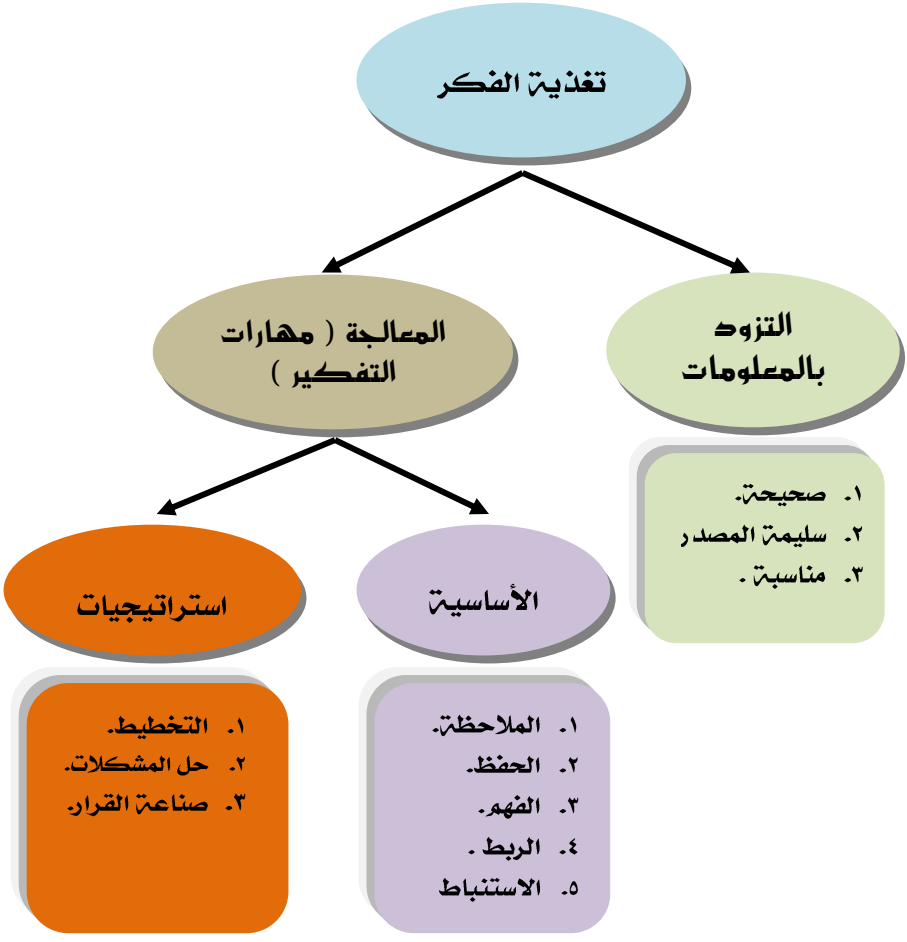

خارطة تغذية الفكر

الفصل الخامس

مزالق الفكر

لقد أشرنا إلى اسلوب تحول الحن إلى منح ، وفي المقابل هناك طريقة تحول النعم إلى نقم ، ومن عظيم نِعم اللّه العقل والفكر ، وهذه قد تتحول إلى نقم حين تبتعد عما خُلقت له وحين تتجاوز الحدود المرسوم لها ، حينها تنقلب على صاحبها فتجره إلى الويل والهلاك بدل النجاة والفلاح.

والعاقل الفطِن هو الذي يُحسن توظيف تلك النِعمة ،فلا يسمح لها أن تكون قائدة لها بل يسوسها وفق دليل (كتالوج) صانعها وخالقها ، فتجده بين مد وجزر وكبح وانطلاق وبين شدة ولين ، فيحصل على الثمر الكثير والخير الوفير فيفوز في الدنيا وفي يوم النفير .

و بعد أن أدركنا أهمية الفكر وكيفية بناءه ، لابد من تبيين مزالقه ومخاطرة ، وهي عديدة وسنذكر أهمها :

١ / اللامحدودية :

عن عبد الله بن مسعود ﷺكنتُ معَ النبيِّ ﷺ في حرثٍ بالمدينةِ، وهو يتوكأ على عسيبٍ، فمر بنفرٍ من اليهودِ، فقال بعضهم : سلوهُ عن الروحِ، وقال بعضهم : لا تسألوه، لا يُسمعُكم ما تكرهون، فقاموا إليه فقالوا : يا أبا القاسمِ، حدِّثنا عن الروحِ، فقام ساعةً ينظرُ، فعرفتُ أنه يوحى إليه، فتأخرتُ عنه حتى صعِدَ الوحيُ، ثم قال :" ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ الإسراء: ٨٥ إنها الآية الوحيدة في القرآن التي احالة الإجابة إلى "ربي"، ولعل السر - والله أعلم – أن أمر الروح من شأن الله وحده ، ومما استأثر بعلمه دونكم؛ ولا يمكن أن يدرك العقل البشري مهما كان لديه من علم ومعرف ومهارات ومن هنا كانت تتمة الآية .. ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ فكل ما لدى البشر من علم في القديم والحديث والمستقبل إنما أُتوه من الله وهو قليل أمام علم الله ، فعلى العبد أن يعرف حدود عقله فلا يتصور أنه قد حاز العلوم كلها ، ولما كان مصدر العقل هو الحواس وهذه الحواس(السمع والبصر و..) محدودة فكذلك العقل فهو محدود ، فلا تجهد نفسك في تجاوز حدودك ولا تضيع وقتك فيما لا تستطيعه ، وعلى المنوال نفسه جاء الحديث " **تفكروا في آلاء الله ، و لا تفكروا في الله** "[٦٢] ، فلكي تستمع بعقلك تعرف على حدوده و لا تطلب منه ما لا يستطيعه فتقحمه فيما لا سبيل لمعرفته بالعقل فـ «**العلم ثلاثة أنواع :**

[٦٢] الحديث "حسن " صحيح الجامع الصغير للألباني ٢٩٧٥

١. أحدها : هو الذي يُعرف بالعقل و
٢. الثاني : المعرفة التي لا تحصل إلا بالسمع .
٣. والثالث : ما لا سبيل إلى معرفته لا بعقل و لا بسمع »[٦٣]

و أيضاً ليس كل أمر يمكن تصوره بالعقل، ومن هنا كان قول الله تعالى في الحديث القدسي :" **أعددت لعبادي الصالحين : ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر**"[٦٤] فمن النعيم الحصول على ما لا يخطر عليك فضلاً أن تدركه في الحياة الدنيا، فنسأل الله الكريم من فضله .

ومن صور الأمر بالوقوف عن التفكير وعدم الاسترسال قوله ﷺ : " **يأتي الشيطانُ أحدَكم فيقولُ : مَن خلَق كذا ، مَن خلَق كذا ، حتى يقولَ : مَن خلَق ربَّك ؟ فإذا بلَغه فلْيَستَعِذْ باللهِ ولْيَنتَهِ .**"[٦٥]

[٦٣] درء تعارض العقل مع النقل لشيخ الاسلام ابن تيمية ج ٩ ص ٨
[٦٤] رواه البخاري ٤٧٨٠
[٦٥] رواه البخاري ٣٢٧٦

٢ / الرفض :

فلا قبول إلا بقناعة، مهما كان المصدر ومهما كانت المعلومة ، فما لا يدركه بعقله يرفضه أو يحاول تحويره وتحويله إلى ما يقبله ، " فلا أتحجب حتى اقتنع " و " لا اترك مشاهدة الحرام الفلاني حتى تقنعني " ، القناعة مطلب بلا شك ولا اعتراض للسعي من أجل القناعة، ولكن ربط القبول من اللّه بالقناعة هو المزلق ، فخالق العقل هو الأعلم به " ﭽ ٻ ٻ ٺ ٺ ڎ ڎ ٿ ٿ ﭼ الملك: ١٤ ، فكل ما جاء منه فيجب قبوله حتى لو لم يقتنع العقل بذلك فالعقل محدود فلا يحيط بكل شيء ولا يعلم بكل شيء فيُسلِّم للخالق والعالم والمدبر والرحيم والحكيم ، ووصل المزلق إلى درجة أننا سمعنا من يشكك أو يرفض قبول بعض الأحاديث الصحيحة والصريحة مثل قوله ﷺ : " **إذا وقَع الذُّبابُ في شَرابِ أحدِكم فلْيَغمِسْه ثم لِيَنزِعْه ، فإنَّ في إحدى جَناحَيه داءً والأخرى شِفاءً** "[٦٦] وعلة الرفض أن هذا غير مقنع لأن العلم الحديث لم يُثبت الداء والدواء في جناحي الذباب، ويلجأ فريق آخر إلى التشكيك في صحة الحديث وليس في كلام البشير النذير ﷺ ، وهناك مَن يتوقف عن التصديق بذلك حتى يُثبت ذلك العلم الحديث، كما أصبحنا نسمع ونقرا من يرفض التصديق في عذاب القبر ونعيمه

[٦٦] رواه البخاري ٣٣٢٠

والعلة لديه أننا لو فتحنا قبراً فلا نرى شيئاً من ذلك، أي أننا لم ندرك ذلك بحواسنا.

ومثل أولئك لم يدركوا حقيقة ما لديهم من نِعم، فهناك الكثير مما يؤمن به البشر ولم يروه ولم يدركوه فالكل يعرف النوم ويدركه، والكل يؤمن بالموت ووقوعه وهذه وتلك لم يعرف حقائقها البشر حتى الآن، فهل نرفضها حتى إثباتها من البشر، ثم أمر آخر وهو إن الحديث عن الخالق لا يُماثله الحديث عن المخلوق وقد أشار الله سبحانه وتعالى إلى القاعدة الذهبية في ذلك حيث قال ﴿.. وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٥﴾ الإسراء: ٨٥، فهو سبحانه ليس كمثله شيء في كل شيء ، وأمر أخير في هذه القضية اقرأ قوله تعالى:" ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣﴾ البقرة: ٢ - ٣فأول صفات المتقين الإيمان بالغيب فبدأ به كونه مفتاحاً لما بعده – والله اعلم -.

٣ / التعميم :

من أخطر القضايا التي ينزلق فيها الفكر هي التعميم المبني على موقف أو كلام أو حدث، وينسى أن لكل موقف ظروفه ولكل إنسان خصائصه ولكل كلام مبرراته ، وما ينطبق على ذلك الموقف أو الشخص لا ينطبق على غيره ، وان الاشتراك بين البشر في صفة أو جنس أو لون أو جنسيه لا يعني التطابق ، خاصة حين يتعلق الأمر بقضية خطيرة أو بأناس كثيرون (ربما ملايين).

إن التعميم ينافي العدل ، فلا ينبغي أن يُأخذ أحد بجريمة غيره ، فلا تُسلب منه الخيرية بسبب سوء أقرانه في اللون أو الجنس أو البلد ، وفي المقابل لا يُعطى الخيرية كون غيره من بني جلدته أو شكله من الخيرين ، فلا إفراط ولا تفريط وإنما تدريب الفكر على العدل والوسطية والتريث والتأني .

وأفضل ما يمكن عرضه كنموذج لذلك العدل هو القرآن الكريم وسيرة السلف الصالح ،

فاستمع إلى القرآن وهو يتحدث عن الشعراء فيقول تعالى : " ﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ الشعراء: ٢٢٤ - ٢٢٧

وحتى لا تدخل في دائرة التعميم فتظلم بعض الشعراء قال تعالى بعدها مباشرة :" ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْۚ وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ ٢٢٧ ﴾ ،

وكذلك ﴿ لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ ثم قال : إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ١١٤ ﴾ النساء: ١١٤ ،

وحين تحدث عن أهل الكتاب قال :﴿ وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مَنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِقِنطَارٖ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِدِينَارٖ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ إِلَّا مَا دُمۡتَ عَلَيۡهِ ..٧٥ ﴾ آل عمران: ٧٥

٧٥ فلا تعميم على أهل الكتاب .

والتعميم له عدة صور، فمن صوره : التعميم بالحكم على شخص ما بالصلاح أو بعكسه بمجرد رؤيته الظاهرة، وتأمل معي هذا الحدث :

" أن رجلًا على عهدِ النبيِّ ﷺ كان اسمُه عبدَ اللهِ، وكانَ يُلَقَّبُ حِمارًا، وكان يُضحِكُ رسولَ اللهِ ﷺ، وكان النبيُّ ﷺ قدْ جلَدَه في الشَّرابِ، فأُتيَ بهِ يومًا فأمَرَ بهِ فجُلِدَ، فقال رجلٌ مِنَ القَومِ : اللَّهُمَّ العَنْهُ، ما أكثَرَ ما يُؤتَى بهِ ؟ فقال ﷺ : (لا تَلْعَنُوه، فواللهِ ما عَلِمْتُ إلَّا

أنه يُحِبُّ اللّٰهَ ورسولَه[٦٧]) ، ألا ما أعظمك يا رسول اللّٰه! تلك هي النفوس الكبيرة والعظيمة تنظر بشمولية وتبحث عن الجمال لا عن الكمال.

وسار صحابته من بعده على هذا المنهج وإليك هذا الموقف : قال رجل لعمر بن الخطاب ﷺ إن فلانا رجل صدق فقال له هل سافرت معه؟ قال لا. قال: فهل كانت بينك وبينه معاملة؟ قال لا. قال فهل ائتمنته على شيء؟ قال لا. قال فأنت الذي لا علم لك به أراك رأيته يرفع رأسه ويخفضه في المسجد. "[٦٨] ، فلا تعميم على الرجل بمجرد رؤيته يصلي في المسجد.

لقد وهبنا اللّٰه قدرات وملكات عقلية من أجل توجيهها واستثمارها على أمثل وأمتع صورة ،ومتى ما حادت عن الطريق وسلكت غير طريق رب العالمين فلا تنتظر منها إلا الشوك والحنظل في الدنيا قبل الآخرة .

حين نشتري أجهزة فنحن على يقين أن أفضل طريقة للحصول على أقصى إنتاجها هو وفق وصفة (كتالوج) صانعيها حتى لو كنا غير

---

[٦٧] رواه البخاري ٦٧٨٠

[٦٨] "هذا الأثر له أكثر من طريق ، وقد خرَّج الشيخ الألباني رحمه الله طريقاً لهذا الأثر ومالَ إلى تصحيحه." الحمادي http://www.ahlalhdeeth.com

مقتنعين بما في تلك الوصفة لعلمنا بأنهم اعلم وأخبر ، فكذلك – ولله المثل الأعلى – الإنسان عليه الرجوع إلى صانعه والتعرف على المنهج المناسب للحصول على أفضل وأجمل وأسعد حياة لهذا المخلوق.

فهل سيقبل عقلك ذلك ؟

هكذا نكون قد صنعنا فكرنا الذاتي، بقي كيف يمكن السيطرة على الآخرين وتسييرهم وفق فكر معين ، فهذا له شأن آخر

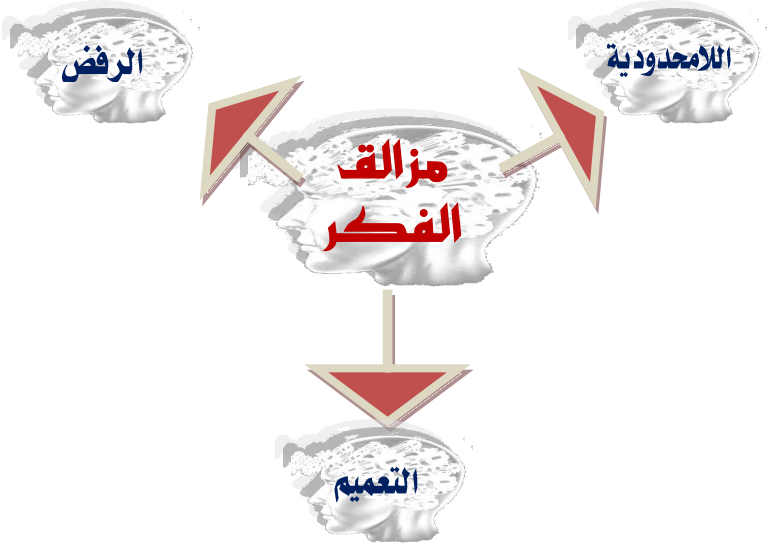

خارطة مزالق الفكر

الفصل السادس

قد تستطيع إجبار الناس على فعل ما لا يريدون، ولكنك لن تستطيع إجبارهم على التفكير إلا فيما يريدون

داخل الفصل المدرسي وبعد مرور أكثر من شهر على بداية الدراسة ، وكعادة المدرسين الشرح داخل الفصل شدني وضع أحد الطلاب أثناء الشرح ، شكله تغير سرحانه يزداد اهتمامه بدأ يقل قلت لعله اليوم تعبان من أمور لا نعلمها ومن الغد تكررت نفس الصورة وبعده واستمر الوضع هكذا والطالب يزداد وضعه سوءاً فقررت أن أتكلم معه .

بعد نهاية الدرس طلبت الطالب وجلست معه على انفراد:

فلان أنت طالب جيد ومن عائلة معروفة في المنطقة، وقد كنت جيداً في بداية العام، ما الذي حصل ؟

لا شيء يا أستاذ لا شيء.

ولكنك تغيرت كثيراً في الفترة الخيرة.

لعلي مجهد متعب واحتاج إلى بعض الراحة فقط.

مجهد من ماذا، ثم إن المسألة ليست يوم أو يومين، بل أصبحت ظاهرة لديك عند جميع المدرسين.

لا تشغل بالك يا أستاذ .

وبعد نقاش طويل قلت له :

- اسمح لي أن أطرح عليك الأسباب المتوقعة وأريد منك أن تقول

نعم أو لا.

- تفضل يا أستاذ.
- مشاكل منزلية
- لا
- مشاكل مالية.
- لا .
- تغيير الأصدقاء.
- صمت وطأطأ رأسه إلى الأسفل .
- شكراً يا.... مع السلامة .

اتصلت بابيه وطلبت مقابلته.

وبعد حوار ساخن مع أبيه وكلام كثير اتفقنا على السبب وكان مما قاله ألاب :

لقد تعرف أبني على أصدقاء السوء وأصبحوا معه طول الوقت وهو يسايرهم ويمشي معهم ولا يرد لهم طلب ، بل إنه يعمل بعض الأشياء في المنزل إرضاءاً لهم وهم ليسوا معه في المنزل وكأنهم يتحكمون به عن بعد (ريموت كنترول) لقد سيطروا عليه فأصبح يعمل لهم ما يريدون .

فاستوقفتني كلمة " ريموت كنترول " فهذه للأجهزة وليست للبشر ثم كلمة " سيطروا عليه " ودار في ذهني: هل يمكن تسيير الإنسان اختيارياً بالريموت كنترول ؟ وكيف يمكن السيطرة على الإنسان

من قبل غيره ؟

وبعد تأمل اتضح أن القضية ليس متعلقة بالفرد فقط ، بل ربما كانت على مستوى أكبر واشمل، لتشمل الجماعات والدول والمجتمعات ، واقصد قضية تجيير الرأي العام نحو قضية معينة باتجاه مقصود لهدف مطلوب، وبعد تحقيق المُراد تتغير اتجاهات الرأي العام وفق منظومة مدروسة .

فعلى سبيل المثال : قضية أفغانستان : تم توجيه الرأي العام لمحاربة الروس ونصرة المجاهدين ومساعدتهم بشتى الأشكال ومنها القتال (الجهاد) ، وبعد أن تحقيق المطلوب ، رأينا العجب فما كان مدعوماً أصبح محارباً ، وما كان مغنماً أصبح مغرما ، والسبب – والله أعلم – هو تغير المحتل ، ومثلها كذلك قضية البوسنة والهرسك ، ومثلها قضية الشيشان وغيرها كثير .

والقضية لا تتعلق بالجهاد والمجاهدين فقط ، بل حتى في القضايا الاجتماعية والشرعية احيانا ، فما كان متفق على تحريمه أصبح مباحا وجائزاً ، وما كان مرفوضاً اجتماعياً وعرفاً أصبح مقبولاً بل ومطلوباً ، بل حتى في القضايا السياسية ، ففي وقت من الأوقات اقتنع الكثير أن العراق يمتلك أسلحة دمار شامل ، وبعد فترة من الزمن نفى المثبتون وأعلنوا أن العراق لا يمتلك تلك الأسلحة ، ومع ذلك بقي العقاب على الشعب العراقي ، ومثلها في ليبيا وسوريا ومالي

وغيرها كثير .

نعم ليس صحيحاً ان ندعي أننا ضحية مؤامرة ولكن من المهم التأكيد على وقوعنا ضحية لممارسات وسائل تستهدف السيطرة على الفكر وتوجيهه نحو أهدافهم ، صحيح أن هناك فريق فتح الله على بصيرتهم وأرشدهم إلى معرفة الحق واتباعه ، وهؤلاء – وإن كانوا – قلة – هم الوقود التي تحتاجه الأمة لتكشف الحقائق وتنير الطريق ، ومن أجل المساهمة في تكثير هؤلاء ومساندتهم ومد جسور الخير معهم كان هذا المقال

والمقصود هنا بيان الطرق والأساليب المستخدمة في توجيه الآخرين ، والسعي في توظيفها في الخير وتحقيق مقاصد الشريعة .

والوسائل ليست وليدة الساعة، ولكنها نتاج سنوات وخبرات بشرية، والحقيقة أنه قبل التجارب الانسانية هناك كتاب رب البرية وسنة هادي البشرية ﷺ ، التي فيها البيان الواضح لتلك الطرق والوسائل .

والشرع الحكيم تعرض لتلك الوسائل بأكثر من أسلوب ، ومن أهم تلك الأساليب :

- ✓ الاعلان صراحة عن تلك الطريقة .
- ✓ التطبيق العملي .
- ✓ الاشارة إلى ممارسات لتلك الطريقة واثرها .

وستتضح تلك الأساليب ومدلولاتها في القرآن والسنة من خلال "

الوسائل العشر في توجيه الآخرين " .

لكي تستطيع توجيه السفينة أو الطائرة أو السيارة إلى اتجاه معين ، فلابد من ثلاثة عوامل :

- ✓ معرفة كيف تعمل و خصائصها وطرق التحكم بها .
- ✓ الاتجاه التي تسير إليه، فقد تكون متجه إلى حيث تريد ، فلا داعي للتغيير .
- ✓ الوجه التي تريد تغيير اتجاهها له.

وكذلك الإنسان - والله أعلم - ، فلكي تستطيع توجيهه إلى فكر معين وطريق محدد فعليك بهذه الثلاثة:

أ / معرفة طبيعة الإنسان وخصائصه ومداخله ،

وهذه يشترك فيها الكثير من الناس إن لم يكن كلهم ، وهذه الطبيعة وتلك الخصائص إنما تدرك بإحدى الوسيلتين أو كليهما :

الوسيلة الأولى : ما تحدث به خالق الإنسان عن الإنسان ، فالخالق هو الأعلم بالخلق :" ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ الملك: ١٤ ، فمن أمثلة ذلك قوله تعالى :" زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ

﴿وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ ١٤﴾

آل عمران: ١٤

❖ .

❖ الوسيلة الثانية : الدراسات البشرية والتجارب الإنسانية .

والفرق بين الطريقين أن الأول جزماً صحيح ، فلا تدخله احتمالات الخطأ، بينما الثاني (باعتباره البشري) فهو قابل للصواب وقابل للخطأ ويتأثر بعوامل كثيرة منها اختلاف البيئة واختلاف التربية وغيرها .

ب / اتجاهات الإنسان :

وهذه تختلف من مجتمع إلى آخر ، ومن مدينة إلى أخرى ، ومن شخص لآخر ، ولكن ثمة أمور مشتركة وقيم في كل مجتمع ، يمكن معرفة هذه القيم وتلك الأمور عن طريق الدراسات الطويلة والملاحظة الدقيقة .

ج / الاتجاه المطلوب :

وهو الثمرة التي يسعى إليها من يستخدم التوجيه .

ولما كان حديثنا عن الوسائل في التوجيه، فسنقتصر في الحديث عن الطريق الأول مع شيء من الطريق الثاني ،وفق ما بينه الله في كتابه أو رسوله ﷺ ، فإلى الوسائل العشرة في معرفة النفس البشرية وفق كتاب رب البرية :

١ / التزيين : اقرأ هذه الآيات :

- ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٣٩ ﴾ الحجر: ٣٩
- ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَيَسۡخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٢١٢ ﴾ البقرة: ٢١٢
- ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ ١٤ ﴾ آل عمران: ١٤
- ﴿ ... كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٢٢ ﴾ الأنعام: ١٢٢
- ﴿ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ قَتۡلَ أَوۡلَٰدِهِمۡ شُرَكَآؤُهُمۡ لِيُرۡدُوهُمۡ وَلِيَلۡبِسُواْ عَلَيۡهِمۡ دِينَهُمۡۖ .. ﴾ الأنعام: ١٣٧
- ﴿ وَإِذۡ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ .... ﴾ الأنفال: ٤٨
- ﴿ ... ۚ زُيِّنَ لَهُمۡ سُوٓءُ أَعۡمَٰلِهِمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٣٧ ﴾ التوبة: ٣٧

- ﴿ ... كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ يونس: ١٢
- ﴿ .. بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ ﴾ الرعد: ٣٣
- ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا .. ﴾ فاطر: ٨
- ﴿ .. كَذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ غافر: ٣٧
- ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم ﴿١٤﴾ ﴾ محمد: ١٤

هذا الكم من الآيات يُعطي دلالة واضحة على أن العبد لا يُقدم على عمل إلا حين يشعر أن فيه مصلحة أو منفعة أو متعة له ، ومن هنا فلابد من بيان المصلحة والخير للمُخاطَب وتغيير فكره عن الموضوع وإقناعه بجدوى الخيرية والمنفعة له، وما لم يحصل ذلك فلن تستطيع تغيير الاتجاه حتى لو استخدمت القوة والقهر ، فمع زوال القهر يرجع العبد إلى ما يجب وما هو مقتنع به[٦٩] .

وهذا الكلام ايقن به البشر حديثاً ، وظهر العديد من النظريات التي تقول : لابد من تغيير القناعات والأفكار قبل تغيير الواقع ، ولعل

[٦٩] قد تستخدم القوة احيانا في زرع القناعات وتغيير الاتجاهات ، بعد الإجهاد والتعذيب ، وهذا ما فعله الشيوعيون وغيرهم ، لكنها في النهاية غير مستمرة وغير فعالة مع اصحاب القيم والمبادئ الراسخة .

الاستعمار الحديث اقتنع بهذا، فبعد التجارب المريرة بدأ بالغزو الفكري وألغى فكرة الغزو العسكري إلا عند الضرورة .

ولما كانت تلك طبيعة بشرية كان لابد من التزيين حتى في الخير والحق ، قال تعالى : " ﴿....وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ٧﴾ الحجرات: ٧

، وهذا ما نمارسه في حياتنا اليومية مع أنفسنا وابنائنا وكل من نريد إقناعه بقضية ما ، تجد أنا نجتهد في تحبيب الأمر له وبذل الجهد في تزيين القضية ، وعلى مقدار نجاحنا في ذلك يكون العطاء البعدي، أو على مقدار نجاحنا في تغيير فكره نحو تلك القضية يكون تغيير اتجاهه.

وفي عصرنا الحديث ومع التقدم التكنلوجي وعصر السرعة أصبحت فنون التزيين كثيرة ومتنوعة ومتجددة ، وكلنا يلمس ذلك .[٧٠]

٢ / التلاعب بالمصطلحات

" يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَاتَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٠٤)البقرة: ١٠٤

٧٠ راجع مقالنا " مفتاح الشيطان " .

قال ﷺ : " لا تُسَمُّوا العنَبَ الكَرْمَ . فإنَّ الكَرْمَ الرجلُ المسلمُ "[٧١]

كل لفظة له مدلولها و، ولها تأثيرها على النفس سلباً أو ايجاباً ، ولا ينبغي إلغاء تأثير اختيار الألفاظ على المقابل، ومن أجل تغيير القناعات بالفكرة وقبولها، مع أنها مرفوضة وغير صحيحة يُستخدم تغيير المصطلحات والكلمات ليقل تأثيرها على النفس أو يتحول إلى تأثير ايجابي بدل السلبي ، ومن ذلك قوله ﷺ : **" ليشربن أناس من أمتي الخمر ، يسمونها بغير اسمها** .."[٧٢] ، فلكي يتم قبول شرب الخمر (مع العلم بتحريمها) يُستبدل باسم آخر مقبول ومحبوب فبدل الخمر يُقال " مشروبات روحية " أو غيرها من الأسماء .

وما يقُال عن الخمر يُقال عن غيره ، فبدل " الربا " تُسمى " فوائد " وبدل المنكر الخطأ وبدل الفاسق المطرب وربما الممثل [٧٣] ،ويعبَّر عن الزنا بالحرية الشخصية وبدل الحدود الشرعية القوانين وغيرها كثير [٧٤]

[٧١] رواه مسلم ٢٢٤٧

[٧٢] صحيح الجامع للألباني ٥٤٥٤

[٧٣] ليس جميع الممثلين والمطربين ، وإنما الغالب

[٧٤] اتمنى أن ينبري لنا من يجمع المصلحات الحالية ويقارنها بأصلها.

ومع الوقت تصبح المصطلحات الجديدة هي السائدة ، وتضييع المصلحات الأصلية ومعه يُمحى التأثير السلبي لتلك المصطلحات ، فيصبح من يمارس تلك الأعمال مقبول بل وربما محبوب وممدوح .

٣/ اللحن بالقول :

اللحن القدرة على تحوير الكلام والذهاب به إلى ما يريد المتحدث ومنه ما جاء في الحديث " **إنما أنا بشر ، وإنكم تختصمون إلي ، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض ، وأقضي له على نحو مما أسمع ، فمن قضيت له من حق أخيه شيئا فلا يأخذ ، فإنما أقطع له قطعة من النار**"[٧٥] ، هكذا تكون نتيجة اللحن " فأقضي له " أي يحصل على ما يريد وإن لم يكن حقاً ، فإذا كان هذا عند خير البشر فكيف بغيره، وما نشاهده من تحليلات ومناظرات وحوارات خير شاهد على ذلك ، فالأخبار واحدة ، ولكن لكل قناة تحليلها والذي تسعى من خلاله إلى ايصال رسالتها وزرعها في ذهن المشاهد ، وتستخدم في ذلك اللحن في القول ، كما أنها تستضيف وتحاور من يرسخ قيمها مبادئها وما تسعى إليه ، وكل هذا وذاك دون أن يشعر المقابل بذلك ، وتلك هي خطورة اللحن .

[٧٥] رواه البخاري ٦٩٦٧

واستمع لتلك القصة :جاء الأحنفَ سيد أهل البصرة ، وكان فاضلا فصيحا مفوها، فقدم على عمر فحبسه عنده سنة يأتيه كل يوم وليلة، فلا يأتيه عنه إلا ما يحب، ثم دعاه فقال: (تدري لم حبستك عني؟) قال :لا! قال: (إن رسول الله ﷺ قال :" **إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَى هَذِهِ الأُمَّةِ الْمُنَافِقَ الْعَلِيمَ**"[٧٦] ، ثم قال: (خشيت أن تكون منافقا عليم اللسان، وأن رسول الله ﷺ حذرنا منه، وأرجو أن تكون مؤمنا، فانحدر إلى مصرك.

أنه أكثر ما يخاف علينا ، وما ذاك والله أعلم إلا لخفائه وتلبسه بما ليسفيه وقدرته على تحوير الباطل ومما جاء في تفسير المنافق عليم اللسان يعيرهم بفصاحته وبيانه يضلهم بجهله[٧٧].

٤ / التكرار:

مما يُذكر في النوادر أن اشعب[٧٨] أنه قال لشخص أنه ثمة وليمة في المكان الفلاني (وهو غير صادق) ، فذهب الرجل ولم يرجع ، ثم

[٧٦] وفي رواية كل منافق عليم اللسان صححه السيوطي في الجامع الصغير واحمد شاكر في مسند الامام أحمد وغيرهم

[٧٧] محمد ابو زهرة في مقدمة كتابه : تاريخ المذاهب المعاصرة

أخبر رجلاً آخر فذهب ولم ويرجع وثالث ورابع ، ولما رأى اشعب انهم يذهبون ولم يعودوا قال : لعله ثمة وليمة فعلاً فذهب إلى المكان .

من أخطر الوسائل واكثرها تطبيقاً على جميع المستويات وفي مختلف المجالات نظرية " كذّب كذّب حتى تُصدَّق " ، و أظننا بحاجة إلى مراجعة بعض الأمثال لدينا والتي رسخت امور قد لا تكون صحيحة فمثلاً " ما في دخان من غير نار " " حبل الكذب قصير " ، والواقع يشهد أنه يوجد سحب من الدخان وبلا نار، كما يوجد بعض الكذب الذي استمر لقرون من الزمن حتى اكتشفت الحقيقة .

إن تكرار أي قضية يعطي رسالة في العقل اللاواعي ويرسخ المعلومة في العقل الواعي ويدفع صاحبها إلى تبني موقف أو قول ويدافع عنه بشدة ويرد كل من ينكر هذا القول أو يستهجن ذاك الفعل .

لقد تحدث القرآن الكريم عن قضية " الصلاة " في أكثر من ٥٠ موضعاً ، وهذا بلا شك مؤشراً واضحاً ودليلاً قاطعاً على عظمة شأنها واهميتها في الدين ، ومثلها الصيام والزكاة والحج وغيرها ، ومن المعروف أن مؤشر العدد في القرآن دليل على الأهمية.

---

[٧٨] أشعب هو شخصية ذات أصل حقيقي يدعى : شعيب بن جبير، وقد ولد في سنة تسع من الهجرة، وكان أبوه من مماليك عثمان بن عفان، وقد عُمّر أشعب حتى أيّام خلافة المهدي (http://ar.wikipedia)

ومن المهم التفريق بين التكرار والنسخ ، فالنسخ إعادة المعلومة بالطريقة نفسها أما التكرار فهو إعادة المعلومة أو القضية بطرق مختلفة ومتنوعة .

أما في العصر الحديث فلا أظن أنه مر على البشرية مثله استخداما لوسيلة التكرار ، فتقنية الصوت والصورة والحركة والخدع وتناقل المعلومات اتاحة الفرص الكثيرة لتقديم المعلومة أو القضية بصورة مختلفة تماما ، وربما بعكس الحقيقة ، فعلى سبيل المثال " تعال إلى حيث النكهة " والحقيقة " تعال إلى حيث النكبة " ، أوليس التدخين نكبة باعتراف أطباء وعقلاء العالم ، ومثلها قضية الارهاب وقضية القدوات ، ومن أشهر الأمثلة في هذا الموضع بالذات قضية او قضايا المرأة العربية أو المسلمة أو الشرقية ، فهي مظلومة أو مهضومة الحقوق وهي مظلومة من الرجل وهي مظلومة من المجتمع وهي مظلومة العادات والتقاليد وسلسلة طويلة عريضة تُقدم للمجتمع عبر :

- مسلسلات درامية .
- برامج حوارية .
- أخبار انتقائية .
- صور إجرامية .
- مقابلات يومية .
- تحليلات نسائية .

▲ و غيرها كثير

فبعد هذا الكم الهائل والمبرمج لا تستغرب ان يكون من بيننا من يردد تلك القضية ويناضل من اجلها بقوة من الجنسين ، ولا تستغرب حين يتغير هذا المتحدث بعد المراجعة و المُدارسة والمناقشة فتتجلي له الحقيقة ويظهر له المستور .

٥ / إثارة الفضول :

قال تعالى :

" ﴿ ....وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ الأعراف: ٢٠

﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ ﴾ طه: ١٢٠

من الدوافع الغريزية للإنسان حب الفضول والسعي في اكتشاف المجهول والحرص على معرفة الممنوع ، وكما يقولون " كل ممنوع مرغوب " ، فتفاصيل الأحداث ودوافعها قد تخفى وحينها تبدا رحلة البحث وحب الحصول على المجهول مما يُعطي الفرصة لقبول ذلك

المجهول من أي مصدر وبأي شكل لتحقيق الاشباع الفضولي للعبد .

أول من عرف تلك الحقيقة هو الشيطان ، فاستخدمها مع آدم عليه السلام فقال له : إنما نهاك الله عن تلك الشجرة خوفاً أن تكون ملكاً أو من الخالدين ، وثمة سؤال مُبطّن وهو : لماذا نهاك الله عن الأكل من هذه الشجرة ؟ مما أثار فضول آدم عليه السلام ، ولما كان عليه السلام ليس لديه إجابة وافية، جاء الشيطان ليقدم له الاقتراح الذي لا يمكن التأكد منه إلا بالأكل من الشجرة (وهو ما يسعى إليه الشيطان)

ومن هذا الباب تدخل الكثير من القيم والمبادئ دون أن يشعر المقابل ، فهناك الكثير من الأحداث والوقائع التي لا يستطيع الفرد معرفة حقائقها ودوافعها ، فيخرج لنا المحللون ليضعوا النقاط على الحروف ، ومن المتفق عليه ان مَن يضع النقاط هو من يجعل الكلمة تُقرا كما يريد هو .

والمتأمل في حياته سيلاحظ الكم الهائل من الحقائق والنظريات والتي تصرف على أساسها ويبني موقفه على ضوئها ليس مصدرها المعلومة بذاتها وإنما طريقة تحليلها و تبرير دوافعها.

٦ / التبعيض :

" ﴿كَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَى ٱلۡمُقۡتَسِمِينَ ٩٠ ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلۡقُرۡءَانَ عِضِينَ ٩١﴾ الحجر: ٩٠ - ٩١

عن ابنِ عباسٍ ﷺ{ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ }.قال هم أهلُ الكتابِ، جَزَّؤُوهُ أَجزاءً، فآمَنوا ببعضِه وكفَروا ببعضِه .[٧٩]

في صيف عام ١٤١٣هـ كنا في مخيم ألبانيا (اول مخيم بعد سقوط الشيوعية) ، فاخبرنا أحد الأخوة هناك أن الغرب طلب من الحكومة الجديدة ثلاثة وزارات هي الدفاع والتربية والاعلام وترك البقية للحكومة تختار من تشاء ، ولك أن تخمن لماذا هذه الثلاثة !

حين تُعرض علينا قضايا وأحوال المسلمين وما يُعانونه من قتل وتشريد ، فإنه يُطلب منا المساعدة الإغاثية في الأكل والشرب والخيام وغيرها من الماديات ، أما المساعدات الجوهرية في بناء الإنسان وصلاحه فلا تُقدم لنا ، وتبقى في أجندة فريق معين وجهة متخصصة ، لذا فإنا نلاحظ أنا نجمع تبرعات لتلك المساعدات الإنسانية فنحن نبني جسد وهم يتولون الفكر .

[٧٩] رواه البخاري ٤٧٠٥

إن هذا التبعيض للعرض مقصود وهدفه منشود، والمشكلة الكبرى حين نقبل ذلك التبعيض ونعتبره نصراً مؤزراً في مساعدة اخواننا، وننظر من الزاوية التي يُريدها الآخرون وننسى أو نغض الطرف عن الزوايا الأخرى فتكون الصور مشوهة بعضها جميل والبقية قبيح فالنتيجة أن الصورة الكلية غير جيدة ، وقد تُغيّب عن الصورة تماماً حين يُراد الا تراها.

إن قضية التبعيض خطيرة وقد يغفل عنها الكثير من الناس ، ومن هنا كانت العقوبة الربانية في الدارين : الخزي الدنيا و أشد العذاب في الآخرة للممارسين لذلك، من القديم والحديث " ﴿ .... أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ البقرة: ٨٥

٧/ استدرار العاطفة :

" العاطفة في التعريف العام، هي حالة ذهنية كثيفة تظهر بشكل آلي في الجهاز العصبي وليس من خلال بذل جهد مُدرَك، وتستدعي إما

حالة نفسية إيجابية أو سلبية.

خصائص العواطف :

- الاكتساب : فنحن لا نولد وبداخلنا عاطفة اتجاه شخص أو شيء معين وإنما تتكون العاطفة من تكرار أتصال الفرد بموضوع العاطفة.
- ذات صبغة انفعالية : فالعاطفة تتكون من مجموعة من الانفعالات المتباينة تدور حول موضوع واحد، وقد تثير العاطفة الواحدة أكثر من انفعال

الدراسات الحالية تقترح أن العاطفة جزء أساسي من اتخاذ قرارات الإنسان وتخطيطه للحياة"[٨٠]

فالعاطفة جزء اساس ومهم من الإنسان وربما هو الجزء الأهم في تحريك العبد نحو العمل، وحتى العقل يستخدم المعلومات وترتيبها ورصدها كخطوة نحو الهيجان العاطفي والذي بدوره يدفع الإنسان إلى العمل ، وكلما كانت العاطفة أقوى كان الاندفاع والبذل والتحمل أكبر والعكس صحيح .

[٨٠] http://ar.wikipedia.org

وعليه إذا أردت دفع الإنسان نحو عمل معين ما عليك إلا بناء العاطفة لديه اتجاه هذا الموضوع ، وابشر بالنتائج المبهرة عند نجاحك ، وبناء العاطفة يعتمد على أمرين مهمين :

١. معلومات مقننة.

٢. إدراك طبيعة المشاعر البشرية.

فالإنسان يحب ويكره ويخاف ويرجو ويفرح ويحزن ويرغب ويرهب ، وكل هذه يتبعها أعمال أو ردود افعال متباينة بحسب الموقف والمعلومة .

ومن هنا كان الشارع الحكيم يُعطي المعلومات التي تبني هذه العاطفة بصورة متوازنة تجعل العبد يسير بخطى راسخة في حياته دون تعثر أو استعجال ، فالحب في الله والبغض في الله والخوف من الله ورجائه وتحبيب الإيمان و الترغيب بالجنة وبغيرها والتبغيض من الكفر والترهيب من النار كل هذا وذاك وفق معلومات فيها إجمال أحيانا وتفصيل في احيان اخرى ، وهذا أمثلته كثيرة في الكتاب والسنة .

ولقد أدرك ذاك بعض بني الانسان، وأوغلوا في ترسيخ العواطف والمشاعر تجاه قضايا معينة بحسب ما يريدون وبأساليب متنوعة وكثيرة، بالصوت والصورة والحركة والإثارة ولغة الأرقام وغيرها،

فالقتل والتشريد و التعذيب وانتهاك الأعراض والقسوة على الطفولة كل هذا يوظف بطريقة احترافية لزرع عاطفة معينة تجاه هذا الموضوع لدى المستقبلين ، والنتيجة الطبيعية هي الحركة البشرية في حل القضية ثم يُقدّم الحل فيقبله الناس حتى لو كان مرفوضاً عقلاً وشرعاً وعرفاً ، لكن من أجل معالجة تلك المظاهر العاطفية والصور الممقوتة ، واللبيب بالإشارة يفهم !!

٨ / الرموز الوهمية

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : " **إن بين يدي الساعة سنين خدّاعة ، يصدَّق فيها الكاذب ، و يكذَّب فيها الصادق ، و يؤتمن فيها الخائن ، و يخوَّن فيها الأمين ، و ينطق فيها الرويبضة قيل : و ما الرويبضة قيل : المرء التافه يتكلم في أمر العامة**

صورة للانقلاب الفكري والاجتماعي ومنه نطق الرويبضة ، ليست القضية وجود الرويبضة ولكن المشكلة هي السماح له بالكلام ، ولم يكن لهذا الرويبضة أن يتكلم إلا حين أُعطي الفرصة وأخذ ما ليس له فيه حق ، وإلا فلو أيقن الناس أنه رويبضة لما استمعوا له .

وبمعنى آخر تم قلب الموازين عند الناس فأصبح الكاذب صادق والصادق كاذب والرويبضة شخص مهم ورمز يُرجع إليه في الأمور الكبيرة لعامة الناس .

لكل مجتمع رموزه وقادته الذين يُرجع إليهم عند الشدائد والمهام الصعبة والقضايا التي تهم العموم ، وهذه الرموز إنما تُعرف من خلال إبرازها وإنجازاتها وتسليط الضوء عليها والتذكير بما تمتلكه من مواهب وقدرات ، فليست مهمة الرموز إبراز ذواتهم – وإن كان لهم دور في ذلك - ، ولكن تلك مهمة الناس، وإن شئت فقل مهمة الاعلام في الوقت الحاضر بالدرجة الأساس .

فمَن يرفعه الإعلام ويبرزه ويُظهره بالصورة المُلمّعة الصورة البراقة الصورة المشرقة سيكون هو الرمز ، والمتأمل في واقعنا يرى ذلك ، فلو سألت الشباب[٨١] من الجنسين عن مثلهم الأعلى والشخص رقم واحد لديهم (معاصر) ستجد غالب الإجابات إما فنان أو فنانة أو لاعب كرة ، والسبب في ذلك هو الدور الاعلامي في إظهار هذه الشخصيات من حيث المقابلات وتعظيم الانجازات الوهمية وتحويلها إلى إنجازات وطنية وعالمية بالإضافة إلى الضخ المالي عليهم ولهم ، وملاحقتهم بالأضواء في كل حركة وسكنة، فمن الطبيعي تقليدهم في ملبسهم

[٨١] وحتى غير الشباب ولكنه بصورة اقل

ومأكلهم وأشكالهم، فهم الرموز الوطنية و النماذج الانسانية، فهل تستغرب بعد ذلك أن يتحدث هؤلاء في أمور العامة !!

٩ / الكثرة السلبية :

يقولون " الكثرة تغلب الشجاعة " ، من طبيعة الإنسان أن ينظر إلى الكثرة على أنها صحيحة أو حق دون التأمل في الجوانب الأخرى لذا جاء الشارع الحكيم في معالجة هذه القضية وتصحيح النظر إليها، فقال تعالى :" قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قُل لَّا يَسْتَوِي ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ..﴾ المائدة: ١٠٠ وقال قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾﴾ الأنعام: ، ١١فطاعة الكثرة مصيرها الضلال وقال : قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ يوسف: ١٠٣، فمهما حرصت فالكثرة هم غير المؤمنين ، ثم أرشد إلى الميزان الحق وهو الأحسن في العمل قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ﴾ الملك: ٢ ، وأشار أن معيار آخر وهو الديمومة في العمل

ففي الحديث :" أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ سُئِلَ : أيُّ العملِ أحَبُّ إلى اللهِ ؟ قال " أدْومُه وإن قَلَّ "[٨٢].

امام تلك الحقائق يأتي اصحاب الفكر ليزجوا بمجموعة كبيرة من الآراء والاطروحات التي تخدم قضية معينة وترسم طريقاً محدداً في التفكير حيال هذه القضية ، فمع الضخ الكبير والكم الوفير تصبح هناك قناعة لدى المتلقي بأن هذا الموضوع حق ،ان تلك القضية صحيحة وأن الحل هو بالشكل الفلاني فقد ذكره قلان وفلان والمؤسسة الفلانية والمركز الفلاني والتحقيق المصور ، فالمسلمون فاشلون والعلماء مقصورون والدعاة غائبون وأهل الفكر نائمون وأهل الجد مغيبون والأعداء متيقظون واهل البدع منتشرون والغرب متفقون والشرق متميزون وغيرها ، وهكذا تصل تلك الرسائل وتستقر في الأذهان فتكون نتيجتها التسليم والقعود وعدم الرغبة في التغيير بحجة عدم إمكانيته والسير مع الكثرة فـ " الموت مع الجماعة رحمة " !!؟؟.

١٠ / التدرج :

قالت عائشة رضي الله عنها :" **إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل ، فيها ذكر الجنة والنار ، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال**

[٨٢] رواه مسلم ٧٨٢

والحرام ، ولو نزل أول شيء : لا تشربوا الخمر ، لقالوا : لا ندع الخمر أبدا ، ولو نزل : لا تزنوا ، لقالوا : لا ندع الزنا أبدا ، لقد نزل بمكة على محمد ﷺ وإني لجارية ألعب : { بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر } . وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده..."[٨٣]

صدقت والله ، إنها النفس البشرية التي ترفض التغيير المفاجئ ولا تستجيب له إلا في أضيق الحدود ، وإذا كان هذا في الأمور والأحكام الشرعية فغيرها من باب أولى .

وهكذا تغيير الفكر والسيطرة عليه ، فمن الصعب جداً ان تُغير الفكر بسرعة ، فلابد من التأني والصبر والقبول بالقليل للحصول على الكثير ، وقد قيل " الزمن جزء من العلاج " ، ومن استعجل الثمر قبل أوانه عُوقب بحرمانه ، وهذا ما حصل مع بعض الدول الاستعمارية حين ارادت تغيير الشعوب بسرعة فاستخدمت القوة ، فكانت النتيجة الهزيمة الفكرية ثم الهزيمة العسكرية فخرجت من البلاد خائبة خاسرة ، وفي المقابل ثمة دول استخدمت طريقة التدرج والاستدراج فحققت شيئا مما تريد في صناعة الفكر حتى بعد خروجها من تلك المستعمرات .

[٨٣] رواه البخاري ٤٩٩٣

وانا على يقين أننا جميعا متفقون على قضية التدرج في التغيير ، فلا نحتاج إلى كثير كلام فيه .

وهكذا تكون الوسائل العشر قد تمت واكتملت ، وبقي كيف نجمع تلك الوسائل مع بعض للخروج بالخطلة السرية في توجيه الآخرين والسيطرة على فكرهم .

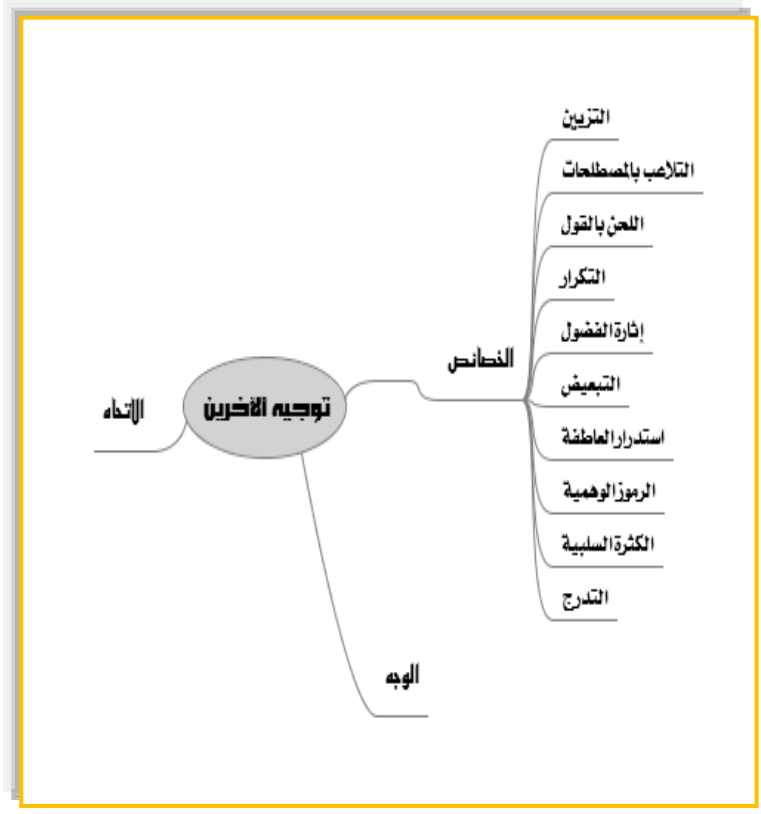

خارطة توجيه الآخرين

الخلطة السرية

ومن المتفق عليه أنه لا يمكن استخدام كل العشرة في الوقت نفسه وفي الظروف ذاتها ومع الكل ، بل لابد من خلطة تحقق المراد ، فقد لا يُستخدم إلا بعض العشرة ، كما أن بعضها تكون نسبته أعلى في وقت وزمن محدد ، بالضبط كما يصنع الطاهي، فلكل أكلة طعمها وقيمتها الغذائية والتي تعتمد على استخدام المكونات بطريقة مختلفة .

وقبل بيان الخلطة في توجيه الآخرين ، تنبغي التذكير بمثلث مهم وهو

مثلث تغيير الفكر :

١. تغيير الفكر يعني الديمومة – غالباً - ، فمرض الأفكار (الشبهات) أفتك من مرض الشهوات.

٢. ردة الفعل عادة تكون قوية ، لذا يجب الحرص على عدم الخطأ.

٣. الإخفاق في وقت ما لا يعني الفشل الدائم ، بل يعني أن الخلطة غير مناسبة أو غير مناسبة حالياً .

والآن وبعد تجهيز المواد لنبدأ العمل في صناعة الخلطة ، وفق الخطوات التالية :

١ / الترمومتر :

مما يُذكر في التاريخ مما يذكر في كتب التاريخ، وأثناء الصراع بين المسلمين والفرنجة أرسل أحد ملوك الفرنجة رسولاً للمسلمين لكي يستطلع أحوالهم.

وحين وصل الرسول (الجاسوس) رأى أحد الغلمان وهو يرمي بالسهم ثم بكى فاقترب منه وسأله:

لماذا تبكي يا بني ؟

ألا تعرف يا عم ، لقد أخطأت في إصابة الهدف .

وماذا في ذلك لعلك تصيب في المرة القادمة !.

ماذا (باستغراب) في المرة القادمة ، ومن يضمن لي أن عدوي سينتظرني حتى أصيبه في المرة القادمة .

فعاد الرسول إلى ملكه قائلاً: ليس هذه هو الوقت المناسب لكي تحارب المسلمين.

وبعد سنوات معدودة يرسل الملك الرسول نفسه إلى المسلمين للتعرف على أحوالهم .

وينطلق الرسول ويصل إلى ديار المسلمين، وعلى الساحل يرى أحد الغلمان وهو يبكي فاقترب منه وسأله:

ما الذي يبكيك يا بني ؟

لقد هاجرت حبيبتي وتركني وحيداً أفكر فيها ليل نهار، ألا يستحق ذلك البكاء يا عم

بلى ، وأكثر من البكاء .

عندها رجع الرسول مسرعاً إلى ملكه قائلاً : هذا هو الوقت المناسب لغزو المسلمين .

وبغض النظر عند صحة القصة من عدمها ، إلا أنها توصل الرسالة المطلوبة ، وهي قياس مؤشر قبول الفكرة لدى المستهدفين ، ومن الطرق المستخدمة في ذلك بث بعض الأفكار وجس النبض حيالها ، وكذلك طريقة الملاحظة للمجتمع و فيه من تغيرات وطريقة ثالثة وهي الدراسات العلمية الداخلية والخارجية .

٢ / تجميل الفكرة

والتمهيد لها من خلال الرموز الوهمية والتلاعب بالألفاظ والإيهام بأن الكثرة مع هذه الفكرة مع إثارة الفضول في بعض القضايا .

٣ / التخلية :

وهي محاولة إبعاد كل فكرة معارضة ، وتوظيف التبعيض في بيان سلبياتها وتصغير رموزها وتسليط الضوء على نقاط ضعفها حتى لو كانت غير صحيحة ، ولكن ليس بصورة مكشوفة بل باحترافية وتقنية عالية .

٤ / التمهل

ويعني محاولة التخلية بصورة متدرجة ، وفي خط موازي مع التحلية وهي إضافة الفكرة الجديدة بصورة متدرجة ودون شعور عدائي ، ويتم ذلك من خلال التكرار وتوظيف الرموز واستدرار العاطفة [٨٤] .

٥ / الاستمرارية

وتعني ضمان بقاء الفكرة و تجذرها وضمان الحصول على ثمارها ، وهذا يكون غالباً بتوظيف نظرية التكرار والرموز الوهمية والتي تنقل الفكرة من العقل الواعي إلى اللاواعي حتى تصبح قيمة من القيم لدى الإنسان فلا يقبل التنازل عنها.

[٨٤] العاطفة ليست في كل موضوع أو فكرة .

وبالمثال يتضح المقال ،

فنأخذ قضية تعليم المرأة في عموم العالم العربي :

الترمومتر : تعليم المرأة مرفوض[٨٥].

التجميل : من خلال الطرح الشرعي في البداية ، ثم ظهرت أول مرأة في التعليم وأول مرأة تحصل على شهادة عالية وأول معلمة[٨٦] ، وكان كل هذا وفق الضوابط الشرعية ، حتى قبل المجتمع تعليم المرأة واصبحت قضية لا يُعترض عليها .

التخلية : طرح التعليم غير الشرعي ، فهو عنوان المدنية الحديثة ، والتركيز على مخرجات التعليم الشرعي الضعيف ، وإبراز الحاجة إلى التعليم الآخر ، فظهرت أول طبيبة وأول مهندسة وأول مصممة وهكذا ، أي أن تعليم المرأة انتقل من القبول إلى الحتمية والضرورة ، وتم إضافة طرح آخر وهو وظيفة المرأة الأساسية ، فصُغِّر جانب عملها المنزلي وقُللت أهميته وعُظِّم جانب العمل خارج المنزل (حتى لا يتعطل نصف المجتمع !!؟؟).

التمهل : مع انتشار التعليم وتنوعه ، لابد من إبراز الفكرة (التعليم غير الشرعي) ، ومقارنته بالعلم الشرعي ، فإبراز الرموز الوهمية وتسليط الضوء عليها والإشادة بإنجازاتها ، وتكرار ذلك في مختلف الوسائل وبشتى الطرق ، حتى وصلنا إلى تفضيل المتخصصة في التعليم غير الشرعي على التعليم الشرعي في غالب أوساط المجتمع ،

---

[٨٥] الشرع لا يعاض تعليم المرأة ، بل يحث عليه ، لكنهم استخدموا التعليم وسيلة لتحقيق بعض الأغراض .

[٨٦] في البداية لم تكن تلك رموز وهمية ، هي مرحلة مقبولة لما بعدها .

وأصبحت النظرة إلى الدراسات الشرعية نظرية دونية، أو على انها أقل شأناً من غير الشرعية .

الاستمرارية : مع التكرار وصناعة الرموز الوهمية ، أصبح تعليم المرأة في مختلف المجالات قضية لا تقبل النقاش ، وترسخ لدى النساء بأنها لابد أن تتعلم ، ويفضل التعليم غير الشرعي لينتقل بعد ذلك إلى قضية هي من ثمار التعليم ألا وهي التوظيف وعمل المرأة ، فكانت معركتها أخف بكثير من التعليم ، لأنها إحدى نتائج تعليم المرأة ، فهل تدرس المرأة وتتعلم وتحصل على الشهادة العالية لتبقى في البيت ؟ ثم جاءت قضية الدراسات العليا والابتعاث إلى الخارج وسيتبعها قضايا أخرى كثيرة .

وهكذا تم توجيه فكر المجتمع وتغييره ليصبح تعليم المرأة قيمة من قيم المجتمع التي لا يقبل التنازل عنها وعمل المرأة في الطريق وسفر المرأة على الدرب ، كل هذا لتخرج المرأة بإرادتها وبرغبة من وليها وبدافع من مجتمعها وتوظيف من دولتها ، فتم السيطرة على فكر المجتمع حيال هذه القضية وأصبحنا نترقب كل جديد من ثمار هذه الفكرة لا لنقبله، بل لندافع عنه أو لتدافع عنه نسائنا وبلغتنا ودون الحاجة إلى غرب او شرق.

هذه ليست صورة سوداء ، فأنا أعلم أن هناك من أخواتنا مَن أدركن اللعبة وايقنا الطريق ، فلم يكن ضحايا لتلك الأفكار ، بل لا يزلن

على الحق وعلى النور ، فتعليم المرأة مطلب شرعي بحدود شرعية لا تقبل التنازل أو التبديل ، فعلى الإنسان أن ينظر إلى الحقيقة بعينين : نظرة ايجابية ونظرة فيها سلبية ولكن دون مغالطة للواقع أو تهميش للحق الواضح .

وقبل ختم الكلام عن توجيه الآخرين ، أجدني مضطرا للتذكير بأن كلها بيد الله ، فمهما حاول العباد من تغيير أو تبديل فلن يتم ذلك إلا وفق مشيئة ربانية وإرادة كونية لله سبحانه ، فالعالم لا يُسيّره الغرب أو الشرق ، بل رب العالمين .

كما أن إجادة الخلطة واختيار أفضل المكونات الطازجة وذات الجودة العالية ، لا يعني بالضرورة الحصول على الأكلة المطلوبة ، فهناك عوامل أخرى قد تغير المسار في اللحظة الأخيرة ، فقد خطط كفار قريش للتخلص من الرسول الكريم ﷺ ، لكن خططهم لم تنجح ، لكونها ضعيفة وغير مدروسة ، لكن لكون صاحبها مرتبط بمسبب الأسباب ومجري السحاب ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ الأنفال: ٣٠

وبقي أن نشير إلى أن توجيه الفكر والسيطرة عليه ، ليست عملية سهلة بل محفوفة بكثير من الصعاب والعقبات ، وهذا ما سأذكره في الفصل الأخير

الفصل السابع
عوائق توجيه الفكر

" الانسان ذلك المجهول " كتاب ظهر عام ١٩٣٩ م وانتشر وتُرجم إلى عدة لغات، مؤلفه الطبيب الفرنسي ألكسي كاريل الحاصل على جائزة نوبل للعلوم الفيزيائية والجراحة ، الكتاب وإن كان قديما نوعا ما ، إلا أنه أشار إلى قضية مهمة وجوهرية ، وهي أن الإنسان عالم معقد ومخلوق مميز يصعب معرفة أغواره و حصر العوامل المؤثرة عليه ، وهذا هو مفتاحنا للحديث عن صعوبة التغيير الفكري للإنسان ، فهي عملية يكترثها الكثير من الظروف والمتغيرات والصعوبات التي يصعب حصرها أو التكهن بها، فهي صعبة وسهلة وطويلة وقصيرة وممكنة وغير ممكنه .

قد يقبل الآخرون الفكرة داخلياً في أنفسهم ، لكن سلوكهم لم يتغير وفق تلك القناعات الجديدة ، ، والعقبات التي سنتحدث عنها هي التي تمنع صاحبها من قبول الفكرة أو عدم تحويلها إلى سلوك في حياته ، أو الاثنين معا مما يظهر لك عدم قبول الفكرة ، أو عدم نجاحك في توجيهه نحو ما تريد سلوكا ، أما أهم تلك العقبات فهي خمسة :

١ / تشرب الفكرة :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ .. قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾ البقرة: ٩٣

، " وإنما عبر عن حب العجل بالشرب دون الأكل لأن شرب الماء يتغلغل في الأعضاء حتى يصل إلى باطنها، والطعام مجاور لها غير متغلغل فيها"[٨٧] .

وفي الحديث : **تعرض الفتن على القلوب كالحصير عودا عودا . فأي قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء . وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء . حتى تصير على قلبين ، على أبيض مثل الصفا . فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض . والآخر أسود مربادا ، كالكوز مجخيا لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا . إلا ما أشرب من هواه "**[٨٨]

[٨٧] تفسر القرطبي ٣٢/٢
[٨٨] رواه مسلم ١٤٤

وهذا واضح جداً عند أصحاب الرسالات والمبادئ ، فهو يُدافع ويُناضل من أجل فكرته لقوة قناعته ، حتى لو وصل الأمر إلى الموت من أجل هذه الفكرة ، ويعتبر موته انتصاراً :

سأحمل روحي على راحتي وأُلقي بها في مهاوي الردى

فإما حياة تسر الصديق وإما ممات يُغيظ العِدى [٨٩]

٢ / تأثير الآخرين :

" لَمَّا حضَرتْ أبا طالبٍ الوفاةُ ، جاءَهُ رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فوَجَدَ عندَهُ أبا جهلٍ وعبدَ اللَّهِ بنَ أبي أميَّةَ بنَ المغيرَةِ ، فقالَ : (أيْ عمِّ ، قلْ لا إلهَ إلا اللَّهُ ، كلمةً أُحَاجُّ لكَ بها عندَ اللَّهِ) . فقالَ أبو جهلٍ وعبدُ اللَّهِ بنُ أبي أميَّةَ : أَتَرْغَبُ عن ملَّةِ عبدِ المطلبِ ، فلمْ يزلْ رسولُ اللَّهِ ﷺ يعْرِضُهَا عليهِ ، ويُعِيدَانِهِ بتلكَ المقالةِ ، حتى قالَ أبو طالبٍ آخرَ ما كلَّمَهُم : على ملَّةِ عبدِ المطلبِ ، وأبَى أنْ يقولَ : لا إلهَ إلا اللَّهُ .. "[٩٠] .

---

٨٩ من قصيدة " الشهيد" للشاعر الفلسطيني عبد الرحيم محمود (١٩١٣ – ١٩٤٨م)

[٩٠] رواه البخاري ٤٧٧٢

لم يكن بين أبي طالب دخول الجنة إلا قول كلمة ، لكنه رفض بسبب تاثير الآخرين ، لا لعدم قناعته بدعوة محمد ﷺ ، فمما قاله في قصيدته المشهورة :

فو الله لولا أن أجيء بسُبَّةٍ تجرُّ على أشياخِنا في المحافل
لكنّا تبعناه على كل حالةٍ من الدهر جداً غير قول التهازل
لقد علموا أن ابننا لا مكذبٌ لدينا ولا يعنى بقولِ الأباطل[٩١]

٣ / الموروثات السابقة

﴿ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ٢٣ ﴾ **الزخرف،**

هكذا يُخبرنا القرآن الكريم ، كل قرية يعترض مترفوها ولا يقبلون والسبب في ذلك موروثات الاباء والأجداد.

[٩١] العلماء تلقوها بالقبول، ولم ينكروها، كالقاضي عياض في الشفا، وابن القيم في الزاد، وابن كثير في السيرة، وغيرهم ، حتى قال عنها ابن كثير : هذه قصيدة عظيمة بليغة جداً لا يستطيع يقولها إلا من نسبت إليه، وهي أفحل من المعلقات السبع، وأبلغ في تأدية المعنى منها جميعها.

٤ / رفض صاحب الفكرة:

ذهب ابو جهل يستمع قراءة النبي ﷺ من الليل، هو وأبو سفيان صخر بن حرب، والأخنس بن شريق، ولا يشعر أحد منهم بالآخر، فاستعموها إلى الصباح، فلما هجم الصبح تفرقوا، فجمعتهم الطريق، فقال كل منهم للآخر: ما جاء بك ؟ وبعد تكرار الموقف نفسه ثلاث مرات ... فلما أصبح الأخنس بن شريق أخذ عصاه، ثم خرج ...حتى أتى أبا جهل، فدخل عليه بيته، فقال: يا أبا الحكم ما رأيك فيما سمعت من محمد ؟ قال: ماذا سمعت ؟ قال: تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف، أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تجاثينا على الركب، وكنا كفرسي رهان، قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء فمتى ندرك هذه ؟ والله لا نؤمن به أبداً ولا نصدقه، قال: فقام عنه الأخنس وتركه.[٩٢] ، فرفض أبي جهل لا لكونه غير حق ، ولكن لأن الرسول ﷺ من بني عبد مناف !!

[٩٢] تفسير ابن كثير ٤ /٢٥٢

٥ / التكبر :

﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾ الأعراف: ١٢

﴿ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ ﴾ ص: ٧٥ - ٧٦

السجود حركة ليست صعبة ، فكيف لو كان عدمها يُأدي إلى نتيجة وخيمة وهي الخلود في جهنم ، فهل كان الأمر صعب على ابليس أو مستحيل لدرجة قبول تحوله من مكان التشريف الذي كان فيه إلى مكان الخزي والعذاب المهين ، فكيف إذا كان الأمر من صاحب الفضل والنعمة والمّن عليك !! ، أمر يصعب تصديقه لولا أن الله أخبرنا به .

ويزول العجب حين تقرأ السبب " انا خير منه "، فالمشكلة ليست في الحركة وإنما في الكبر والعناد – والعياذ بالله - ، وهكذا يكتسب بعض الناس تلك الصفة ويُنميها بنفسه حتى تمعنه من قبول الحق .

خارطة رفض توجيه الفكر

الختام

وفي ختام تلك الرحلة في عالم التفكير ، دعنا نلخصها في **الوصايا العشر** :

١. الفكر هو الكنز الذي لا ينضب .

٢. فكرك = حياتك .

٣. الفكر إذا لم يُغذّى ، ربما يموت .

٤. تعرف على نفسك قبل غيرك .

٥. درّب نفسك على فتح الشبابيك ، وأعط فرصة للإنارة لتدخل إلى عقلك .

٦. إن لم تسعَ في توظيف فكرك، سيوظفه غيرك لمصلحته.

٧. تطوير التفكير ، والرقي به ، عملية ممكنه وليست مستحيلة.

٨. الفائز ليس مَن ينطلق فقط ، ولكنه يجمع مع الانطلاق القدرة على تجاوز العقبات .

٩. لا تحاول إن تسيطر على فكر الآخرين لمصلحتك، ولكن علمهم كيف يكونون أحراراً.

١٠. المكث والبقاء إنما لما ينفع الناس[٩٣] أما الزبد فيذهب جفاء[٩٤]

.

اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه وارنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه ، والله أعلم وصلى الله وسلم على حبيبنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين له إلى يوم الدين

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

د. جمال يوسف الهميلي

المدينة المنورة

١٤٣٧ هـ - ٢٠١٧ م

[٩٣] وهو الحق الواضح

[٩٤] الجفاء هو الذي لا ينتفع به وقيل هو الشك

تم بحمد الله

خارطة الكتاب

طريقة تعاملنا مع الحياة تعتمد بنسبة كبيرة على طريقة تفكيرنا ونظرتنا لها فيها من و قائع واحداث ، وكلما كان الفكر أكثر نضوجا كلما استطاع العبد ان يتحرر من العبودية البشرية لنفسه أو لغيره ومن ثم يستنشق عبير الحرية الحقيقة التي وهبها الله إياه ، وهذه لا تأتي بسهوله فهناك من يترصد ويعمل ويضحي من أجل توجيهك نحو ما يريد ، لقد آن لك أن تفكر بلا تلوث وتعمل بلا توجيه وتستمع بلا قيود.

إنها الحرية الفكرية وفق صنعة رب البرية